
المد الشيعي في جزر القمر... دلالات وأبعاد
السياحة والفن والإعلام.. إيران والحرب الناعمة
أهل السنة في البحرين: عناصر القوة والضعف
الراصد
www.alrased.net
سلسلة إلكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور أهل السنة
الراصد العدد ١٢١ رجب ١٤٣٤هـ
كيف نجتاز المحن؟

المحتويات

فاتحة القول

فرق ومذاهب

سطور من الذاكرة

دراسات

كتاب الشهر

قالوا

جولة الصحافة





رسالة دورية
تصدر بداية
كل شهر عربي

تتوفر من خلال الاشتراك فقط
قيمة الاشتراك لسنة
(٣٠) دولار أمريكي

العدد
(١٢١)
رجب - ١٤٣٤ هـ

www.alrased.net
info@arased.net





كيف نجتاز المحن؟

تمرُّ الأمة الإسلامية اليوم بمرحلة هامة من تاريخها ستكون ذات تأثير بالغ على حاضرنا ومستقبلنا، وسيسجل التاريخ مواقفنا وأعمالنا في هذه المرحلة، ونحن وحدنا المسئولون عن هذه الأعمال والمواقف ولا ندري هل ستكون في صحائف الكرامة والبطولة والإيجابية؟ أم - لا قدر الله- تُسجل علينا في صحائف التقصير والخور وقلة الحيلة والتدبير؟!!

ففي هذه المرحلة يواجه الإسلام والمسلمون والإسلاميون تحديات جمّة ومن مصادر متعددة ومتنوعة، داخلية وخارجية، فالغرب والشرق وإسرائيل متفقون على حرب الإسلام والمسلمين والإسلاميين؛ لأسباب دينية وسياسية واقتصادية وثقافية، فالإسلام هو الخصم الحقيقي لهذه الجهات، فالإسلام بعقيدته الحقة والحية هو من زعزع أركان اليهودية المحرّفة، والنصرانية الضالة، والعلمانية الجائرة، والشيوعية المجرمة، فعقيدة التوحيد الصافية إذا دبت في النفوس لم يقف أمامها شيء، والإسلام هو الذي سيقضي على سياسات الظلم والانحياز وسرقة الثروات، بعدله ورحمته التي وسعت البشرية بأجمعها قرونا عديدة، لأن الإسلام جاء ليخرج الناس من عبادة الناس إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، كما قال ربعي بن عامر رضي الله عنه.

والإسلام هو الذي سيفسد على المفسدين إفسادهم، فهو حرب على المحتكرين والغشاشين والمقامرين في تجاراتهم النجسة بالأعراض والمحرمات والملهيات، من الذين استعبدوا الشعوب عبر التجارة والاستهلاك والموضة والصراعات وصناعة السينما ومافيات المخدرات والدعارة، والإسلام بحقه وعدله وقسطه هو الذي سيبطل زيف الثقافة المادية والإلحادية التي يروج لها شياطين الجن والإنس.

أما على صعيد الجبهة الداخلية فإن الأمة تعاني من عملاء وأتباع الغرب والشرق وإسرائيل على كافة المستويات، وتعاني من مكائد ومخططات الفرق الضالة؛ كالشيعة والقاديانية والبهائية، التي تكيد للأمة في دينها وأخلاقها، وتمارس أبشع أنواع الإجرام ضد المسلمين في بلاد كثيرة؛ كإيران والعراق وسوريا واليمن والبحرين وغيرها.

وتعاني أمتنا من حالة فساد عريض في دولها وحكوماتها، جعلت بعض الشعوب تثور على طغاتها، فزال بعضهم، وبعضهم لا يزال يمارس طغيانه فيقتل عشرات الآلاف ويدمر البلد على رؤوس الناس، ويهلك الحرث والنسل.

كما تعاني أمتنا من عجز الإسلاميين الذين وصلوا للحكم في بعض الدول عن تقديم ما كان ينتظره المسلمون منهم من العدل والرحمة والإنجاز، ومردّ ذلك إلى تخبط في الأداء وقصور في القدرة والرؤية من جهة أخرى، وبسبب كيد أعدائهم بزرع الفخاخ في طريق مسيرتهم.

وتعاني أمتنا من صراعات واعتداءات متكررة في مناطق مختلفة، فالأقصى يُستباح، وغزة تُقصف، وفي

بورما يذبح إخوتنا، وفي الصومال ومالي حروب ومآس، وغيرها كثير.

ومع كل هذه التحديات فإنّ على المسلم الصادق أن لا ييأس ولا يفتر، بل تبقى جذوة الأمل فيه وقّادة وإن في طيات هذه المحن والفتن منح كثيرة، منها:

- عودة المسلمين للدين وامتلاء المساجد هو منحة، فيروى كبار السن في مكة أن حضور صلاة التراويح في الحرم قبل ٣٥ سنة لم يكن يتجاوز ٣ صفوف!!
- ارتفاع صيحات التكبير والتهليل كشعار للناس، وما أجمل أن يتعلم أطفال المسلمين في العالم صيحة: ما إلنا غيرك يا الله، بعد أن كان المسلمون في عصور سابقة حين يدهمهم الأعداء يلجؤون للأولياء والقبور!!
- انتشار روح الجهاد بين المسلمين اليوم – مع رفضنا لتطرف بعضهم – هو من علامات الصحة والعافية وهذا باكورة بإذن الله لتجاوز مرحلة الذلة كما قال رسولنا الكريم «**ما ترك قوم الجهاد إلا ذلوا**».
- انكشاف خطر التشيع والرافضة وكذب ودجل حزب الله اللبناني ورئيسه هو منحة ربانية ورحمة إلهية.
- حرية الدعوة الإسلامية والاعتزاز بالشعائر الربانية في بلاد كانت الصلاة والحجاب واللحية والدعوة تعد فيها جريمة يعاقب فاعلها، وما تركيا وتونس وليبيا ومصر وسوريا إلا مصداق لذلك.

مما يجب معرفته أن هذه المحن والفتن هي من سنن الله الكونية التي لابد من التعامل معها بالواجب الشرعي: الصبر والمدافعة بالأسباب الصحيحة وأولها العلم بالشرع والعلم بالواقع.

والمسلم الصادق يجب عليه أن يحافظ على بوصلته لتشير إلى الاتجاه الصحيح في خضم هذه التحديات والمحن والفتن، وهو نُصرة الإسلام والمسلمين دوماً، وذلك عبر النقاط التالية:

١- يجب دوماً تحقيق المستطاع من الأمر الشرعي في كل قضية قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴿١٦﴾﴾ [التغابن: ١٦] ورسولنا الكريم يقول: «**ما أمرتكم به فاتبعوه ما استطعتم**».

٢- ليس هناك أولوية مطلقة لكل الأمة، بل لكل منطقة أو جماعة أو هيئة أولويتها الخاصة بحسب المصلحة الشرعية، بشرط أن لا تعطل المصالح الشرعية للآخرين، فمثلاً: من كانت أولويته الشرعية العلم والدعوة، لا يجوز له أن يبطل أو يعطل جهد من أولويته الشرعية الجهاد والقتال، وهكذا.

٣- سيكون هناك قصور عند جميع الأطراف والفصائل والأفراد، فعالج الخطأ بأن تنصح أو تصحح أو تدع – بحسب المصلحة الشرعية – ولا تهدم الحق الذي عندهم، مثلاً: جماعة الإخوان في الحكم تخطئ حين تناور – في أحسن الاحتمالات- بورقة الشيعة وإيران، فيجب التصدي لهذا الخطأ وبقوة وعلانية، ولكن بدون أن نهدم حكم الإخوان لمصلحة خصوم الإسلام والمسلمين، فالحرية الدعوية في ظل الإخوان – بشرط قوتنا- أفضل من قمع الدعوة الإسلامية مع لجم التشيع سياسياً.

٤- معالجة الخطر القريب من منافقين وعملاء وباطنية لا تغفلنا عن التصدي للخطر الخارجي بمستوياته العسكرية والسياسية والثقافية والاقتصادية.

٥- ارتفاع الإسلاميين لمستوى النموذج الإسلامي ضرورة لازمة للنجاة أمام الله عز وجل أولاً، وللحفاظ على الدعوة الإسلامية.

٦- العمل على بث وزيادة الوعي والعلم والفكر الصحيح هو الضمانة من انحراف المسيرة الإسلامية الإصلاحية؛ من شهوات الحكم والسلطة والمال، وشبهات الخصوم الرافضين للمشروع الإسلامي.

٧- يجب مضاعفة جهود العلماء وطلبة العلم ليتقدموا الصفوف ويقودوا المسلمين، وإلا تحملوا الوزر أمام الله عز وجل بالتقصير عن هداية الخلق وإرشادهم.

٨- كل فرد منا مسؤول أمام الله عز وجل عن المشاركة في رد التحديات فـ «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته».

١٣- علامة القصيم الشيخ عبد الرحمن السعدي (١٣٠٧/١٣٧٦هـ-١٨٨٩/١٩٥٧م)

أسامة شحادة(❖) - خاص بالراصد

تمهيد:

اشتهر الشيخ السعدي خارج السعودية في السنوات الأخيرة بسبب انتشار تفسيره القيم «تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن الكريم» بين الناس، لكن سيرة الشيخ السعدي ودوره الإصلاحي لم يتح لهما للآن أن يصلا للناس بشكل صحيح ليتخذ منهما قدوة ومثالاً معاصراً برغم تعدد الرسائل الجامعية حول منهجه التربوي والدعوي والعلمي.

ولعل مما يؤكد وجود الفجوة بين حقيقة الشيخ وبين ما يعرفه الناس وكثير من طلبة العلم عن سيرة الشيخ مطالعة ما كتبه الشيخ العلامة بكر أبو زيد في مقدمته لإحدى طبعات تفسير السعدي حيث قال: «في عام ١٣٨٠هـ تقريباً سمعت من بعض الصالحين الوصية بتفسير الشيخ عبدالرحمن السعدي... حتى إذا جاء عام ١٤١٨هـ كان لي شرف المراجعة الأخيرة لكتاب: (التفسير الميسر)... فوجدت أن هذا التفسير يعتمد كثيراً تفسير ابن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ، وتفسير ابن سعدي – رحمه الله تعالى- فحصل لي من تفسير ابن سعدي نوع ارتواء، وصار لي به فضل اعتناء.

... فنرجو أن يكون لهذا العلامة المفسر نصيب من قول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى- : «وأما (العلم اللدني) فلا ريب أن الله يفتح على قلوب أوليائه المتقين، وعباده الصالحين بسبب طهارة قلوبهم مما يكرهه، واتباعهم ما يحبه، ما لا يفتح لغيرهم ... وأحسب أن الشيخ ابن سعدي ممن فيه هذا الأمر، فتفجرت أنهار المعاني بين يديه وذلك من فضل الله عليه».

فالشيخ بكر لم يدرك حقيقة قيمة الشيخ السعدي إلا بعد ٣٨ سنة من سماعه به وهو في بلده!!

مولده ونشأته:

ولد الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي التميمي سنة ١٣٠٧هـ - ١٨٨٩م في بلدة عنيزة من بلدات منطقة القصيم، بالسعودية.

وقد ولد في مرحلة مضطربة غلبت عليها الصراعات بين القبائل والعشائر حتى استتبت

(❖) كاتب أردني.

الأمور لعبد العزيز بن سعود في عام ١٣٢٦هـ - ١٩٠٧م ودخلت بريدة وعنيزة في حكمه، وكان عمر السعدي عندها ١٩ عاماً تقريباً، ولذلك فإن علاقات السعدي بالملك وعلماء الرياض بقيت ضعيفة.

وقد نشأ السعدي يتيماً حيث توفيت أمه وله أربع سنوات، ثم توفي والده وله سبع سنوات، لكن كفلته زوجة أبيه وأحسنت إليه جداً، ولما شبّ صار في بيت أخيه الأكبر غير الشقيق حمد بن ناصر السعدي الذي رعاه وكفله ليتفرغ لطلب العلم.

وكانت أمه لّما حملت به رأت رؤيا في المنام كأنها تبول في محراب المسجد الجامع، ففزعت لذلك، فقصت رؤياها على زوجها، وكان معروفاً بالعلم والفضل وعنده طرف من علم التعبير، فقال لها: إن صدقت رؤياك فستلدين غلاما يكون إماما في محراب المسجد الجامع.

وقد كان والده وأخوه الأكبر حمد من أهل العلم والفضل، فنشأ نشأة صالحة وحفظ القرآن الكريم وعمره إحدى عشرة سنة، وأخذ العلم من علماء البلدة، ومن قدم إليها من العلماء.

شيوخه واجتهاده:

اقتصر السعدي في طلب العلم على علماء عنيزة ومن جاء إليها، فدرس على الشيخ محمد بن عبد الكريم الشبل، والشيخ عبد بن عائض، والشيخ إبراهيم بن جاسر، والشيخ صعب التويجري، والشيخ علي بن محمد السناني، والشيخ صالح بن عثمان القاضي، ومما تميز به هؤلاء العلماء أنهم كانوا سافروا لطلب العلم خارج عنيزة، للحجاز والشام والعراق ومصر والهند وغيرها من البلاد، والتقوا بالكثير من علماء الإصلاح كالشيخ جمال الدين القاسمي والعلامة حسن صديق حسن خان والشيخ محمود شكري الألوسي، فاستفادوا علوماً ومعارف كثيرة وجديدة، وتخصص كل منهم بفن من الفنون، فتلقاها السعدي عنهم فأفادته ووسعت مداركه وجعلته رغم عدم مبارحته عنيزة مدركاً لأشياء ومعارف لا يعرفها من حوله حتى من العلماء!!

ومما عزز هذه السعة في المعرفة احتكاكه بمن جاء إلى عنيزة من خارجها كالعلامة الموريتاني الشيخ محمد الشنقيطي – والذي لم تنقطع صلته به حتى بعد رحيله، فقد بقي بينهما رسائل عبر المتنقلين بين عنيزة والزبير من طلاب الطرفين- والشنقيطي كان له دور إصلاحي كبير في منطقة الزبير والكويت وله مشاركة اجتماعية وسياسية مؤثرة، فلما سكن عنيزة لمدة ٤ سنوات درس عليه السعدي علوم اللغة وتأثر به في مطالعة كتب شيخي الإسلام ابن تيمية وابن القيم واكتسب منه طريقته في التدريس والتي تخالف الطريقة النجدية التقليدية القائمة على التلقين.

كما أنه استفاد من المدرسين الأزهريين الذين جاؤوا عنيزة أو احتك بهم في مواسم الحج كالشيخ حامد الفقي وعبدالرزاق عفيفي وعبدالرزاق حمزة وغيرهم.

وكان لموقع عنيزة على طريق التجارة للعراق والهند ومصر دور في اكتساب السعدي بعض المعارف عن العالم من خلال أقربائه التجار والمسافرين.

هذا كله جعل من شخصية السعدي شخصية علمية متفتحة تعشق الجد والاجتهاد ولذلك سرعان ما تفوق السعدي على غيره من أقرانه، فأصبح مدرساً لهم وعمره ٢٣ عاماً، ومن ثم «خرج عن مألوف بلده من الاهتمام بالفقه الحنبلي فقط، إلى الاطلاع على كتب التفسير والحديث والتوحيد وكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، حيث فتقت ذهنه ووسعت مداركه فخرج من طور التقليد إلى طور الاجتهاد المقيد، فصار يرجح من الأقوال ما رجحه الدليل وصدقه التعليل...» كما يصف الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام شيخه السعدي.

ولم يكن هذا التطور لرتبة الاجتهاد دفعة واحدة بل مر بعدة مراحل حتى بلغ درجة التحرر من المذهب الحنبلي والتقيد بالدليل على طريقة شيخ

الإسلام بعد سن الأربعين، كما يتضح ذلك من تواريخ كتبه التي أصبح يقرر فيها مقتضى الدليل، وفي هذه المرحلة ألف غالب كتبه.

ويمكن أن نفصل الدور الإصلاحي للسعدي في المحاور التالية:

١- تفرغه للتعليم:

لقد قضى الشيخ السعدي أكثر من ٥٠ سنة في التعليم والتدريس محتسباً لا يتقاضى على ذلك أجرا، ورفض أكثر من مرة ما عرض عليه من رواتب للتدريس والإمامة والخطابة، وفي آخر حياته قبل أن يتقاضى راتب الإمامة ولكن كان يضعه في مصالح المسجد ولا يأخذ منه شيئا، وكان طيلة هذه السنوات يعتاش من عائد ما ورثه عن والده ووالد زوجته وما يرسله له ولداه بعدما كبرا وأصبحا يعملان، وكان زاهداً في الدنيا فكان هذا الدخل البسيط يكفيه.

بدأ السعدي التدريس وعمره ٢٣ سنة وهو يطلب العلم على مشايخه، ومنذ عام ١٣٥٠هـ أصبح مرجع الفتوى والتدريس ببلده، وبدأ يطور في طريقة التدريس بحسب ما استفاد من أساتذته الذين جابوا البلاد، فكان يجمع الطلاب على دراسة كتاب محدد، ودرّس كتباً جديدة لم يكن من المعتاد تدريسها في نجد، وكان يشاور طلابه في اختيار الكتب التي يدرّسها، ويطرح الأسئلة عليهم ويعقد بينهم المناظرات، ويقدم له الجوائز التشجيعية، وكان منظماً في وقته يجلس للتدريس يومياً أربعة أوقات: بعد الفجر حتى الشروق، وقبل الظهر حتى الصلاة، وبعد العصر، وبين المغرب والعشاء، وقد واصل الشيخ ابن عثيمين طريقة شيخه السعدي في التدريس ونجده يقول: «إنني تأثرت به كثيراً في طريقة التدريس، وعرض العلم وتقريبه للطلبة بالأمثلة والمعاني».

وقد كان السعدي يهتم بطلابه وتلاميذه ويتابع دراستهم وتحصيلهم خاصة إذا توسم فيهم النباهة والجد والاجتهاد، ومن ذلك أنه طلب من والد الشيخ ابن عثيمين أن يبقيه لطلب العلم عنده ولا يرحل به.

وقد بلغ طلابه أكثر من ١٥٠ طالبا أصبحوا من العلماء والمفتين والقضاة والكتاب والمدرسين، في كافة أنحاء المملكة وامتد أثر بعضهم لخارج السعودية كالشيخ ابن عثيمين والشيخ البسام الشيخ عبدالله العقيل وغيرهم من الفضلاء، وقد كان السعدي قدوة لهم وترك في قلوبهم أثراً كبيراً بحسن خلقه وإخلاصه وسعة علمه وحسن تربيته وتعليمه.

يقول الشيخ البسام في ترجمة شيخه السعدي: «وطلاب الشيخ الذين علمهم في المسجد الذين تولوا التدريس في المدارس والمعاهد التي فتحتها الدولة، فكان الشيخ يكتب بيده شهادة يقول فيها: إن فلانا درس علوم كذا كذا في كتب كذا كذا، وهو يصلح لتدريس هذه المواد في المستوى الابتدائي أو المتوسط أو الثانوي، وتأخذ الدولة بشهادات الشيخ التي أثبتت التجربة فيما بعد أنها معبرة عن الحقيقة أصدق تعبير».

وتولى السعدي الإشراف على المعهد العلمي بعنيزة وكان له درس كل ثلاثاء فيه بالإضافة لدروسه في المسجد، كما كان للعامة نصيب كبير من دروسه، فدرسه بعد العصر كان قصيراً وموجهاً لكل المصلين في المسجد، كما كان يتخولهم بالمواسم والمناسبات، فضلاً عن خطبة الجمعة، كما أنه كان يشارك العامة في كثير من جلساتهم ويستغلها لتعليمهم وإرشادهم. كما كان يخصص للنساء وقتا خاصا للسؤال والفتوى في داره بحضور زوجته.

وهذا الاهتمام من السعدي بالتعليم ينطلق من رؤية فكرية واضحة لحاجة الأمة للعلم وأنه الأساس الذي عليه تقوم النهضة وبداية طريق العزة والكرامة، يقول السعدي: «ومن أعظم الجهاد سلوك طريق التعلم والتعليم»، ويقول: «الجهاد نوعان: جهاد يقصد به صلاح المسلمين وإصلاحهم في عقائدهم وأخلاقهم وآدابهم، وجميع شؤونهم الدينية والدنيوية، وفي تربيتهم العلمية والعملية، وهذا النوع هو أصل الجهاد وقوامه وعليه يتأسس

الثاني».

نظرة طلابه له:

وصف الشيخ محمد القاضي شيخه السعدي بقوله: «كان واسع الاطلاع في فنون عديدة، ففي كل فن يخوض فيه تقول هذا فنه المختص به، وهذه مؤلفاته أكبر شاهد على ما ذكرته».

ويقول الشيخ ابن عثيمين عنه: «إن الرجل قلّ أن يوجد مثله في عصره في عبادته وعلمه وأخلاقه، حيث كان يعامل كلاً من الصغير والكبير بحسب ما يليق بحاله ويتفقد الفقراء فيوصل إليهم ما يسد حاجتهم بنفسه، وكان صبوراً على ما يلم به من أذى الناس، وكان يحب العذر ممن حصلت منه هفوة ويوجهها توجيهاً يحصل به عذر من هفا».

ويقول الشيخ عبدالله البسام: «لقد كان للشيخ عبدالرحمن السعدي أثر كبير، ودور بارز، في تخريج أفواج كثيرة من طلبة العلم».

٢- انشغاله بالتأليف:

برغم أن العلماء في بلده وعصره لم يكونوا يهتمون بالتأليف إلا أنه لما أدمن مطالعة الكتب عرف قيمة التأليف وأنه فائدته لا تقتصر على بلد أو زمان بل هي فائدة تمتد بعيداً في البلدان وطويلاً في الزمان يقول السعدي: «فكم من علماء هداة ماتوا من مئات السنين، وكتبهم مستعملة، وتلاميذهم قد تسلسل خيرهم وذلك فضل الله»، وبفضل الله أن مؤلفات السعدي اليوم يقبل عليها طلبة العلم وينهلون منها علماً صافيا مباركاً.

ولذلك رغم انشغالاته الكثيرة إلا أنه أنجز مؤلفات كثيرة زادت عن ٤٠ مؤلفاً أهمها تفسيره للقرآن الكريم، وقد تنوعت مواضيع مؤلفاته بين فنون متعددة: التفسير والعقيدة والحديث والفقه والأصول واللغة وغيرها، وهي تمتاز باللغة السهلة والواضحة، وإيراد الحجج والأدلة النقلية والعقلية وتنويع طريقة العرض بين السرد والمناظرة والسؤال والجواب، واعتنى بتلخيص بعض الكتب الهامة بجمع قواعدها وأصولها، كما أنه اعتنى بالقضايا العصرية والنوازل العامة فكتب فيها وعرض رأيه حولها، ومن نظر في قائمة كتب الشيخ سيجد منها:

الجهاد في سبيل الله، وجوب التعاون بين المسلمين وموضوع الجهاد الديني، الدلائل القرآنية في أن العلوم النافعة العصرية داخلة في الدين الإسلامي، الدين الصحيح يحل جميع المشكلات، الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول المنحرفين، تنزيه الدين وحملته ورجاله مما افتراه القصيمي في أغلاله.

وهو في كتبه هذه لم يكن يتاجر أو ينتظر منها عائداً بل كانت توزع مجاناً على العلماء وطلبة العلم، وكان يساهم معه في طباعتها بعض طلابه كما في مراسلاته مع تلميذه عبدالله العقيل.

٣ – إقامة المؤسسات العامة وخدمة الناس:

حرص الشيخ على إقامة مكتبة عامة في عنيزة لتعم الفائدة فتشاور مع الطلبة وكتبوا لوزير المالية يطلبون منه الدعم لتوفير المراجع لطلبة العلم، فوافق الوزير وأرسل لهم منشورات الحكومة وما وجد في مكتبات مكة وخزائن الكتب، وحين وصلت لم تكن الغرفة المتوفرة تتسع لكل ذلك، وعندها كاتب الشيخ أهل عنيزة في الداخل والخارج للتبرع لبناء مكتبة وفعلاً جاءت التبرعات من المملكة ومن البحرين والعراق والهند، وافتتحت في ١٣٥٩هـ عند مدخل الجامع الكبير بعنيزة ثم أصبحت بناية مستقلة بعد تجديد الجامع، وعين لها الشيخ ناظراً ووضع له نظاما يسير عليه، وأصبحت مقر دروس الشيخ لطلابه ومقر مراجعتهم وبحوثهم، ووضعت لوحة عليها آداب التعامل مع كتب المكتبة، نظمها أحد الطلبة وهو الشيخ عبد العزيز المحمد السلمان بقوله:

تأمل شروط الكتب من قبل أخذها
وحافظ عليها فهو عون بقائها
فأولها رفق بها عند أخذها
وتقليبها مع ردها في مكانها

وإغلاق دولاب عليها وبابها

ومنع إخراج لها من خبائها

وصل إله العرش ما هب شرقها

على المصطفي من أرضها وسمائها

وحين رأي الشيخ عند أحد أبنائه خارطة كبيرة لدول العالم وخطوط سير السفن طلبها منه ووضعها في المكتبة، وفيما بعد أهداه ابنه مجسما للكرة الأرضية، فكان الشيخ يطالعه زمن الحرب العالمية ويشرح للناس مسار الحرب ويفند لهم بعض المخاوف من وصول الحرب إليهم.

كما أن الشيخ قام بحثّ الناس على التبرع لتوسعة وإضافة مقدمة للمسجد الجامع بعنيزة عام ١٣٦٣هـ، وفي عام ١٣٧٣هـ حثهم على توسعة المسجد من الخلف.

وكان الشيخ هو كاتب الأنكحة والوصايا وغيرها للناس دون مقابل وفي أي وقت، وكان هو القاضي بين الناس فعلياً لكنه رفض أن يتولاه رسمياً، وكان الشيخ يتولى نظارة بعض الأوقاف، فإذا جاء وقت الثمار وزعها من فوره على الفقراء والمحتاجين ولم يدخر شيئا عنده.

لطائف من سيرة السعدي:

❖ لقد كان السعدي رجل عامة يكثر مخالطة الناس لنفعهم ومن يطالع كتاب ولده وحفيده «مواقف اجتماعية من حياة الشيخ العلامة عبدالرحمن السعدي» يجد مثالاً معاصراً للقدوة، في التعامل مع الزوجة والأبناء والأقارب والجيران والمجتمع.

❖ تعرض السعدي لعدد من الوشايات لدى الملك عبدالعزيز بدافع الحسد أو الجهالة بسبب رأيه في قوم يأجوج ومأجوج، لكن الملك والعلماء عرفوا حقيقة الأمر وأنه عالم مجتهد، ومع ذلك لم يعاتب من وشي به ولا أساء له.

❖ كان السعدي متابعاً للصحف والإذاعات وله مقالات في مجلة المنار التي أنشأها العلامة رشيد رضا، ومجلة المنهل السعودية، وله مراسلات مع عدد كبير من العلماء والدعاة، بل ذكر بعض الباحثين أن في مكتبة حسن البنا بعض كتب السعدي عليها إهداء بخطه للبنا.

❖ نظر الشيخ إلى المخترعات الحديثة نظرة إيجابية بعكس كثير من أهل عصره، وقامت نظرته على أنها من العلوم التي علمنا إياها الله عز وجل وهو خالق هذه المخترعات وفيها دلالة على قدرته على البعث والنشور، يقول السعدي في فتاويه: «أفليس الذي علم الإنسان ما كان ناقصاً في علمه، ناقصا في إرادته وقدرته وعلمه وجميع أحواله، أليس الذي علمه هذه الأمور التي لم تكن تخطر ببال أحد من البشر بقادر على أن يحيي الموتى، وأن يجمع الأولين والآخرين بنفخة واحدة»، وألف لذلك كتابا عن المخترعات الحديثة.

❖ كان السعدي أول من أدخل مكبرات الصوت للمساجد في نجد، وحين اعترض عليه بعضهم وكان يلبس النظارة، نزعها عنه وقال له: ماذا تصنع هذه؟ فقال له: تقرّب لي البعيد، فقال له: والمكبر يوصل الصوت للبعيد!

❖ حين زار السعدي بيروت للعلاج سنة ١٣٧٣هـ أهداه ابنه محمد كتابا بعنوان «دع القلق وابدأ الحياة» للمؤلف الأمريكي «ديل كارنيجي»، فقرأ الكتاب كاملا وأعجب به وقال عن مؤلف: إنه رجل منصف.

وكان له صديق يعالَج في بيروت من مرض نفسي وله سنين ولم يتحسن، فأهداه السعدي كتاب «دع القلق وابدأ الحياة»، وقال له: أقرأ الكتاب فهو مفيد جدا، وفعلاً تحسنت حالته، وطلب الشيخ من ابنه شراء نسخة ثانية للمكتبة العامة بعنيزة، وكان هذا الكتاب سبب تأليف الشيخ رسالته الماتعة «الوسائل المفيدة للحياة السعيدة».

❖ كان الشيخ مدركاً لمخططات الأعداء ومكرهم السياسي والتعليمي ولذلك حذر من تدريس الأولاد في المدارس العصرية التي أقامها الاستعمار، ولم يكتف بتتبع ذلك بل اقترح عددا من الوسائل للعلاج والدفاع، يقول السعدي في كتابه المسمى وجوب التعاون بين المسلمين: «وقد علم من قواعد الدين أن ما لا يتم الواجب إلا به فهو

واجب، وأن الوسائل لها أحكام المقاصد، ولا يخفى أنه لا يتم التحرز من أضرار الأمم الأجنبية والتوقي لشرورها إلا بالوقوف على مقاصدهم، ودرس أحوالهم وسياساتهم، وخصوصاً السياسة الموجهة منهم للمسلمين، فإن السياسة الدولية قد أسست على المكر والخداع، وعدم الوفاء، واستعباد الأمم الضعيفة بكل وسائل الاستعباد». وهذا يدل على سعة أفق الشيخ وبصيرته النافذة التي لم يستفد منها الكثيرون لليوم مع الأسف.

❖ كانت خطبته تعالج كل ما يهم المسلمين، من أمور دينهم ودنياهم، ويروي أحد المدرسين المصريين في المعهد العلمي بعنيزة أن الشيخ السعدي خطب الجمعة عن العدوان الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦م وبيّن للناس حقيقة الموقف الشرعي من هجوم الكفار.

❖ تصدى الشيخ للشبهات الجديدة على مجتمعه من قبل العلمانيين والملاحدة، وألف في ذلك عدة كتب منها: الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول المنحرفين، تنزيه الدين وحملته ورجاله مما افتراه القصيمي في أغلاله، وانتصار الحق.

❖ رفض الشيخ إقصاء الشريعة عن حكم بلاد الإسلام فقال في كتابه الرياض الناضرة: «أما عقائد هذا الدين وأخلاقه وآدابه ومعاملاته، فقد بلغت من الكمال والحسن والنفع والصلاح، الذي لا سبيل إلى الصلاح بغيره ... وكذلك أحكامه السياسية ونظمه الحكمية والمالية مع أهله ومع غيرهم فإنها في نهاية الكمال والإحكام والسير في صلاح البشر كلهم... وليس مستمداً من نظم الخلق وقوانينهم الناقصة الضئيلة، وبهذا وشبهه نعرف غلط من يريد نصر الإسلام بتقريب نظمه إلى النظم التي جرت عليها الحكومات ذات القوانين والنظم المقصورة ... وقد ابتلي بهذا كثير من العصريين بنية صالحة، ولكنهم مغرورون مغترون بزخارف المدنية الغربية التي بنيت على تحكيم المادة وفصلها عن الدين فعادت إلى ضد مقصودها فذهب الدين ولم تصلح لهم الدنيا».

وفاته رحمه الله:

توفي الشيخ السعدي سنة ١٣٧٦هـ في بيته وذلك بعد أن أصيب بمرض ضغط الدم، وعمره ٦٩ عاماً، وصلي عليه في مسجده حيث اجتمع الناس من عنيزة وما حولها من القرى، وسمع أحدهم عجوزاً تقول عن الشيخ: نجم هوى!

قال فيه العلامة محمد حامد الفقي الذي طبع له بعض كتبه والتقاه بالحج عدة مرات: «لقد عرفت الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، من أكثر من عشرين سنة، فعرفت فيه العالم السلفي المحقق، الذي يبحث عن الدليل الصادق، وينقب عن البرهان الوثيق، فيمشي وراءه لا يلوي على شيء... عرفت فيه العلم السلفي الذي فهم الإسلام الفهم الصادق، وعرف فيه دعوته القوية الصادقة إلى الأخذ بكل أسباب الحياة العزيزة القويمة الكريمة النقية... ».

ورثاه الشاعر عبدالله العثيمين فقال:

كتب الفناء على الأنام جميعهم
سيان فيها فاجر ومطهر
لكن من اتخذ الصلاح شعاره
تفنى الخليقة وهو حي يذكر
ما مات من نشر الفضيلة والتقى
وأقام صرحا أسة لا يكسر
ما مات من غمر الأنام بعلمه
الكتب تشهد والصحافة تخبر
يا ناصر الإسلام ضد خصومه
لك في الجهاد مواقف لا تحصر
قد كنت للدين الحنيف معضدا
وبشرعه الهادي القويم تعبر

مراجع للتوسع:

- مواقف اجتماعية من حياة الشيخ العلامة عبدالرحمن السعدي، محمد السعدي ومساعد السعدي.
- الفكر التربوي عند الشيخ السعدي، د. عبدالعزيز السعدي.
- الجهود الدعوية والعلمية للشيخ عبدالرحمن السعدي، عبدالله الرميان.
- الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، عبدالله الطيار.

الخميني يعزل نائبَه منتظري

هيثم الكسواني(*) - خاص بـ «الراصد»

كـ «القطة التي تأكلُ أبناءها»، هكذا يمكن وصف حال الثورة الإيرانية التي قادها المرجع الشيعي روح الله الخميني للإطاحة بنظام الشاه محمد رضا بهلوي في سنة ١٩٧٩م، فبعد أن استتبّ الأمر للخميني، ورسّخ أقدامه في السلطة، انتهى الأمر بالكثير من شركائه في الثورة، بل وحتى بعض أتباعه ومساعديه، إلى القتل والعزل والمنافي والسجون والإيذاء.

ويعدّ رجل الدين حسين منتظري أحد هؤلاء الذين أكلتهم الثورة وضحّى بهم الخميني، لكنه في الوقت نفسه ليس كأحد هؤلاء، فلقد كان منتظري على بُعد خطوة واحدة من أن يصبح زعيم إيران وحاكمها الأعلى ومرشد ثورتها، إذ كان نائبا لمرشد الثورة، روح الله الخميني، وخليفته المنتظر، لكن السحر انقلب على الساحر، فبين عشية وضحاها عزل الخميني نائبَه وخليفتَه، الذي أصبح مطرودا منبوذا.

وُلد المرجع الشيعي الإيراني حسين علي منتظري في سنة ١٩٢٢م، وكان من المعارضين لنظام الشاه، وفي نفس الوقت هو من أبرز رجال الدين الشيعة في إيران حتى لُقب بـ «الفقيه الأعظم». وبعد نجاح الثورة كان منتظري إلى جانب الخميني، الذي سرعان ما عيّنه نائبا له، وخليفة من بعده[1]، فقد كان الخميني يحب منتظري حبّا كبيرا ويصفه بأنه زهرة عمره.

لكن هذه المودة لم تدم، وتحول منتظري فجأة من نائب للخميني و(زهرة عمره) إلى شخص فاسد وخائن وساذج، ومتستر على الفاسدين والخائنين، فقد وجّه له الخميني رسالة قاسية جدا في شهر مارس/ آذار من سنة ١٩٨٩م (نفس العام الذي توفي فيه الخميني) يُعلمه فيها بعزله، ومما جاء في الرسالة:

«ولا يسعني هنا إلا أن أقول بأنك ستسلم البلاد والثورة الإسلامية من بعدي للجناح الليبرالي ومن خلالهم للمنافقين. لقد فقدتَ صلاحية وشرعية قيادة النظام مستقبلاً. إنك تعتقد ومِن خلال تصريحاتك ومواقفك بضرورة حكم البلاد من قبل الجناح الليبرالي والنفاق. ولا أراك

(*) كاتب أردني.

(١) يلفت الدكتور موسى الموسوي في كتابه (الثورة البائسة) إلى أن الخميني باتخاذه منتظري وليا للعهد من بعده فإنه صنع مثل ما صنع الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه من تولية ابنه يزيد وليّا لعهد المسلمين من بعده (ص ١٦٤).
ومعلوم أن الشيعة تشنّع على معاوية صنيعه هذا، وتعتبره سبب انحراف نظام الحكم في الإسلام، في حين أن معظم الدول الشيعية التي قامت في القديم والحديث كالدولة البويهية والصفوية والقاجارية تبنت النظام الملكي الوراثي وولاية العهد.

تكلمتَ الا بما أملاه عليك المنافقون الذين لا أعتقد بجدوى الرد عليهم..».

وفي موضع آخر يقول الخميني لمنتظري: «مِن الآن فصاعداً لستَ خليفتي، وسأعفيك حتى من المسائل المالية التي يرجع فيها الطلاب إليك... وفي الختام أسأل الله أن يمنح شيخكم العجوز الصبر والعفو، وأن يتوفاني قبل أن ألمس خيانة أصحابي...».

وفي تحليل الأسباب التي دفعت الخميني لعزل منتظري يمكن أن نورد ما يلي:

١- أن الخميني عُرف عنه الغدر والتنكر لمن ساندوه في الثورة، والبطش بمن يخالف رأيه، أو يختلف معه، لذلك سيق الكثير من هؤلاء إلى المشانق والسجون والمنافي.

٢- الصراع الذي نشأ على السلطة في إيران، إذ دخل منتظري في صراعات مع جماعات وأشخاص أقوياء وخاصة علي خامنئي، الذي أصبح مرشدا للثورة بعد الخميني، وهاشمي رفسنجاني، الرئيس الأسبق، ما جلب عليه غضب الخميني.

٣- انتقاد منتظري للانتهاكات الفظيعة لحقوق الإنسان التي كانت تجري في إيران بأمر الخميني ومباركته، وفي رسالة الخميني سالفة الذكر انتقاد شديد لمنتظري لمطالبته بوقف هذه الانتهاكات والإعدامات الجائرة، فقد اعتبر الخميني هذه المطالبة دفاعا عن المنافقين والمفسدين. يقول الخميني في رسالته: «لقد دافعتَ بشكل مستميت عن بعض المنافقين الذين شهروا أسلحتهم ضد النظام ليُحكموا بالإعدام، ثم أسديتَ للاستكبار خدمات عملاقة بما كشفتَ من أسرار وهوّلتَ أعدادهم لتجعلهم ألوفا مؤلفة..».

٤- انتقاد منتظري أيضا لنظرية ولاية الفقيه[1] التي بنى عليها النظام الإيراني بعد الثورة شرعيته، رغم إيمانه بها، لكنه كان يخالف الخميني في بعض جزئياتها، فالخميني كان يعتقد أن ولاية الفقهاء على الناس ولاية دينية إلهية، جعلها الله لهم كما جعلها للرسول ﷺ وللأئمة المعصومين، أما منتظري فكان يعتقد أن ولاية الفقهاء يجب أن تتم بالانتخاب، إلى غير ذلك.

للاستزادة:

١- الراصد نت.

٢- تطور الفكر السياسي الشيعي – أحمد الكاتب.

٣- الثورة البائسة – د. موسى الموسوي

٤- صحف ومواقع إلكترونية (الجزيرة نت، الشرق الأوسط، ويكيبيديا).

---

(١) نظرية سياسية شيعية حديثة أفسحت المجال لتولي رجال الدين الشيعة =

الحكم في إيران، وعالجت موضوع غيبة الإمام الثاني عشر عند الشيعة الإمامية، حيث استقر الفقه الشيعي منذ غيبة المهدي المنتظر المزعوم في سنة ٢٦٠هـ على أنه لا شرعية لأية دولة تقوم قبل ظهور المهدي، ولا شرعية لحاكمها، باعتبار أن الدولة والقيادة هي من صلاحيات المهدي.

والخميني هو أول من جسّد (ولاية الفقيه) عملياً، حيث نقل صلاحيات المهدي المنتظر إلى فقهاء الشيعة، معتبرا أنه لا يجوز أن يظل الشيعة في انتظار، لا سيما وأن غيبة المهدي مضى عليها قرون طويلة، وقد تمر قرون أخرى قبل أن يظهر. وبناء عليه فإن فقهاء الشيعة يستطيعون ممارسة صلاحيات المهدي في غيبته (انظر: هيثم الكسواني، مصطلحات الشيعة الإثنى عشرية، الراصد نت، العدد ١١٣، على الرابط):

http://www.alrased.net/main/articles.aspx?selected_article_no=5849

منهجية العلمانية العالمية في قضايا المرأة

فاطمة عبد الرءوف(*) – خاص بالراصد

تعدّ القضايا المتعلقة بالنساء في الوقت الراهن من أكثر وأهم القضايا المطروحة والمثيرة للجدل إعلاميا ودولياً ولا يتعلق ذلك بالقيمة العددية للنساء، أي كونهن نصف الطاقة البشرية فحسب وإنما يتعلق الأمر بالصورة المنهجية للحياة بترابطها العضوي .. بالنظرية التي تحكم والواقع القائم وصورة الغد المنظور.. لذلك فإن قضايا النساء أصبحت ضلعا أساسيا في الصراع الذي تعيشه البشرية.

وبما أن الغلبة تبدو حتى هذه اللحظة لصالح المشروع الغربي الذي يقوم على العلمانية بمختلف نكهاتها الصليبية والاشتراكية والإلحادية فإننا محاصرون في خندق الدفاع والذود عن أفكارنا وقيمنا.

يخطىء من يتصور أن المشروع الغربي تحققت له هذه الغلبة لمجرد تفوقه المادي والتقني أو لضغطه الاقتصادي علينا وإن كانت هذه أدوات أحسن استغلالها.

نستطيع القول إن هناك عاملين أساسيين في هذه الغلبة للمشروع الغربي هما:

العامل الأول: الاستقطاب الفكري

أي خلق عناصر موالية للفكر الغربي مؤمنة به أشد الإيمان كالدكتور طه حسين الذي عبر عن ذلك بوضوح في كتابه «مستقبل الثقافة في مصر» سنة ١٩٣٨م حيث قال: (العقل الشرقي هو عقل يوناني وإن القرآن لم يُغير من يونانية عقلنا الشرقي كما أن الإنجيل لم يغير من يونانية العقل الأوروبي وأن القرآن مثل الإنجيل وأننا قد قبلنا الحضارة الأوروبية قديمًا ومِن ثَمَّ فعلينا أن نقبلها الآن بخيرها وشرها حُلوها ومُرها ما يُحب منها وما يُكره ما يُحمد منها وما يُعاب وأننا لابد أن نسير سيرة الأوروبيين ونسلك طريقهم ونذهب مذهبهم في الحكم والإدارة والتشريع).

وها هي رائدة من أهم رواد الحركة النسوية في مصر «منيرة ثابت» وهذه المرأة كانت أشد تطرفا من هدى شعراوي وإن كانت أقل شهرة وهي لا تخجل من الاشمئزاز من بلدها وأرضها القاحلة التي تنبت رجالا قساة غلاظا لا بد من إرسالهم إلى أوروبا عسى أن يمسسهم حظ من التقدم والرقي والمدنية، تقول: (تربة مصر كلها تربة جافة لا تنتج إلا رجالا قساة القلوب جامدين! فليت شعري أفي وسعنا أن نجندهم ونرسلهم في بعثة إلى شمال أوربا)[1].

العامل الثاني: الاستمرار والمثابرة على تحقيق الأهداف

وهناك استراتيجيات كثيرة لتحقيقه فقد يكون الهدف واضحا ومحددا في مؤسسات صنع القرار ولكنه غير معلن بالنسبة لعامة الناس بل وعامة المثقفين والمهتمين، وعدم تسليط أضواء الإعلام عليه أمر مقصود طبعاً.

وقد يتم التعبير عنه بلغة غامضة مطاطية كما حدث

(*) كاتبة مصرية.

(١) منيرة ثابت .. ثورة في البرج العاجي، ص ٥٩.

مـع الوثـائق الأممـية المتعلقـة بـالمرأة كاسـتخدام مـصطلح الجندر والصحة الإنجابية.

وقـد يكـون المـصطلح معروفـا في حـد ذاتـه ولكنـه يحمل بمعان جديدة ليس لها علاقة بالمصطلح الأساسي كما فعلوا مع مصطلح العنف في الوثيقة الأخيرة.

ففـي كـل عـام وفي شـهر مـارس تحديـدا لابـد مـن الاجتمـاع وإصـدار وثيقـة جديـدة لتوضـيح وثيقـة بكـين فتكشف جزءا مما خفي أو تؤكده بالإضافة لتقييم ما تم إنجـازه بالفعـل وسـبل الـضغط علـى الحكومـات والمجتمعات للتقدم خطوات أخرى.

مخططات وآليات

وليكـن حديثنا منصبا على العامل الأول، أي هـؤلاء المفتونين بـالفكر الغربي ومخططـاتهم المتنوعـة للوصـول لهدفهم الاستراتيجي الـذي عبر عنـه الـدكتور طه حسين بكل وضوح، فما هي الآليات التي يتعاطون معها لتحقيق المشروع العلماني العالمي؟

الآلية الأولى: الإعلان عن احترام الـدين الإسـلامي والشريعة الإسـلامية وأن ما يتم الـدعوة إليـه هـو قلـب ولبّ الدين

تقـول مـنيرة ثابـت: (وقـد كـان الـدين الإسـلامي أول سابق إلى هذه المساواة فأعطى المرأة حرية التقاضي بدون إذن مـن زوجهـا وحريـة المعـاملات جميعهـا مـن بيـع وشـراء ورهن وارتهان وإيجار واستئجار وهبة وغير ذلك.

وجرت التقاليد على هـذه السنة حتـى اعترف الفقهـاء للمـرأة بتـولي القـضاء متـى تـوفرت فيهـا الـشروط اللازمـة لـذلك ولـيس يخفـى أن منـصب القـضاء هـو أرفـع المناصب وأجلها شأنا في الإسلام.

واعـترف الفقهـاء للمـرأة أيـضا بحـق الحكـم وإدارة شئون الرعية فتولى الحكم كثير من النساء في الممالك الإسلامية، أخص بالذكر منهن الملكة المصرية شجرة الـدر الـتي اشـتهرت بالعدل والحكمـة والـتي نالـت مـصر على يدها مـا لم تنـل مثلـه إلا علـى يـد كبـار الملـوك، إذن شـريعتنا الإسـلامية وتقاليـدنا الـشرقية سـبقت المدنيـة الغربية في الاعتراف بحقوق المرأة السياسية)[1].

(١) السابق ص ٣١، ٣٢.

ومن الملاحظ على هـذا الخطـاب مـزج التقاليـد بالـدين بالتجربـة التاريخيـة وهـو خلـط مقـصود لإثـارة طبقـة مـن الغبار الكثيف على وجه الحقائق الناصعة.

وهـو نفـس الخطـاب الـذي تـستخدمه مرفـت الـتلاوي عند حديثها عن اتفاقيتي سيداو وبكين والوثيقة الأخيرة (إلغاء ومنع كافة أشكال العنف ضد النساء والفتيات) لأنها تعتبرها تمثل روح الشريعة لـذلك فقد أرسلت نسخة منها لهيئـة كبـار العلمـاء في الأزهـر الـشريف - معتمـدة على غموض ومطاطية المصطلحات - لتظهر للرأي العام مدى الثقـة الـتي تتمتـع بهـا ومـدى تطـابق الوثيقـة مـع روح الـشريعة، وفي نفـس الـسياق أكـدت الـتلاوي أن الإسـلام «دلل المـرأة» ومنحهـا حقوقـاً لم تـرد في القـوانين الوضعية للدول المتقدمة، وقالت «لن نسمح بتشوية صورة الإسـلام.. ولا نريد أكثر من الشرع»[2].

الآلية الثانيـة: تشويه صورة الرجل واعتبـاره ليس شريكا للمرأة في الحياة الإنسانية وأخا لها إنما عدو يناصبها العداء ويسعى لتحقيرها وتهميشها

تقول منيرة ثابت: (ومن الطبيعي أن يعترض الرجل ولا يسلّم بهذا الحق (تقصد حق الترشح والانتخاب) إذ يخشى منه منافسة المرأة له في ميدان العمل والسياسة الذي يريد الاستئثار به)[3].

بل ويصل الحال للرغبة في ممارسة العنف إزاء الرجل الكريـه الـذي سـلب المـرأة حقوقهـا ومكتسباتها (والآن مـاذا نحـن فـاعلات بكـم أيهـا الرجـال؟؟ أنثـور علـيكم ونأخـذكم بـالعنف كمـا فعلـت نـساء الإنجليـز فنـسترد منـكم حقوقنـا بـالقوة؟ أظـن أن هـذا هـو الـذي سـيكون بيننا وبينكم)[4].

رجـل التيـار الإسـلامي: لكـن وفي خطـوة تـصعيدية جديـدة أصـبح الـتشويه منـصبا علـى الرجـل ذي التوجـه الإسلامي تحديدا، بل الرجل والمرأة اللذين يحملان رؤية إسلامية واعتبار هذه الرؤية تخريبية مدمرة والجهر بذلك واعتبار العلمانية هي الأصل، تقول نوال السعداوي حول

(٢) هذه الكلمة ألقيت في ندوة للمجلس بالمنيا ونقلتها الصحف المحلية.
(٣) منيرة ثابت .. مصدر سابق ص ٥٢.
(٤) السابق ص ٩.

سياسة تجفيف المنابع: (العلاج ليس فقط إصدار قرار بمنع النقاب والحجاب في المدارس، سواء على التلميذات أو المعلمات، ولكن بفصل الدين عن التعليم والدستور والثقافة والفنون والقوانين العامة في الدولة، والقوانين الخاصة في الأسرة لابد من إصدار قانون يعاقب الأم أو الأب الذي يفرض الحجاب على ابنته في مرحلة الطفولة أو بعدها)[1]، فسعداوي ترى أن التبرج هو الأصل وأن من تتجاوز هذا الأصل وتريد أن ترتدي الحجاب أو النقاب فليس لها الحق في هذه الحرية ويجب منعها بقوة السلطة.

وفي خطوة تدعو للسخرية الممزوجة بالشفقة من العقول المريضة التي تنسج بخيالها العفن مسوغات جديدة لتشويه الرجل الملتزم بدينه تأتي تصريحات مها أبو بكر القيادية الشابة بجبهة الإنقاذ الوطني، حيث تقول: (إن النظام الحاكم وجماعة الإخوان المسلمين، يمتلكون ميلشيات لتعذيب وخطف الشباب، وأخرى للاعتداء والتحرش بالمتظاهرات.

وشددت على أن الهدف الرئيسي من هذه العمليات ليس الإيذاء البدني للسيدات بل الإيذاء النفسي وكسر النفس، حتى لا يخرجن في مظاهرات بالميادين مرة أخرى، وتشويه صورة المشاركات بالمسيرات، قائلة: (قد لا يكون منفذو التحرش من أعضاء الجماعة، لكنهم في النهاية ينتمون لها).

هذه التصريحات السخيفة وجدت صدى ضخما في وسائل الإعلام التي كانت لهم فيها الغلبة دون أن يسألوا أنفسهم سؤالا بسيطا وهو: كيف يتشدد هؤلاء الإسلاميون كما يعتقدون من النظر والاقتراب من المرأة ثم يحرضون على التحرش بها؟! ولكن الصورة الشيطانية التي قرروا رسمها للإسلاميين مباح فيها الكذب لأقصى درجاته ثم بالتكرار والإلحاح على عقل المشاهد يطمحون لتحقيق الهدف.. هؤلاء هم العامل الأهم في نشر الفكر العلماني العالمي ورؤيته المتعلقة بالمرأة والأسرة والذي ينبغي أن تكون مقاومتنا لهم على رأس أولوياتنا.

(١) نوال السعداوي .. ماذا يحدث للنساء تحت اسم الإسلام؟ .. مقال منشور في موقع المرأة الجديدة.

تداعيات الأوضاع في العراق بعد مجزرة الحويجة

صباح العجاج[*] – خاص بالراصد

ألقت أحداث الحويجة ومذبحتها (٢٠١٣/٤/٢٣) بظلالها على حراك العراقيين السُنة، منذ أن بدأ قبل أكثر من أربعة شهور، وتحول الحراك من المنحى السلمي إلى وضع مفتوح بعدة خيارات، هذه المجزرة التي ذهب ضحيتها ٦٠ شخصا، كلهم من أهل السنة مع ١٥٠ جريحا، ونفذت بطريقة تشبه إلى حد كبير ما تقوم به القوات السورية وشبيحتها من مجازر للشعب السوري، ويؤيد ذلك ما رواه بعض الناجين من المذبحة أنهم سمعوا أصواتا قبيل الهجوم ترطن باللهجة الفارسية[2] يشتمون أبا بكر وعمر وعائشة، سبق المذبحة حصار دام أربعة أيام وتهديدات، وتبين أن العملية نفذتها قوات سوات (القوات القذرة) مع مليشيات شيعية بمشاركة قوات إيرانية ترتدي زي الجيش العراقي.

الأسباب الرئيسية لهذه المجزرة تتلخص بأمرين:

الأول: أنها كانت تمهيداً لعملية عسكرية أكبر وأوسع يجري التحضير لها، مع اقتراب معارك الحسم في سوريا وفك الحصار عن حمص وتحرير حماه وحلب، الغرض منها إخضاع السُنة العرب في محافظتي الأنبار ونينوى على الحدود مع سوريا.

الثاني: أن إيران، وبالتحديد الحرس الثوري الإيراني، رأى أن المالكي مُتردد في إقامة حكم طائفي قوي في العراق، وأنه بدا ضعيفاً مهزوزاً أمام الضغوط الأمريكية والمحلية، وقدّم لذلك بعض التنازلات للسنة، خاصة في ملف البعثيين، لذلك كان لابدّ من عمل يثبت المالكي به ولاءه للإيرانيين فكانت مذبحة ومجزرة الحويجة.

وبعد المجزرة انقسمت مواقف القوى الشيعية بين ترويج الأكاذيب كـ (هادي العامري) لتبرير الحدث

(*) كاتب عراقي.

(٢) نقلت صحيفة «أخبار روز» الإيرانية أن القوات الإيرانية شاركت العراقيين في عملية أمنية، جاء هذا على لسان أحد جنرالات الحرس الثوري ناصر شعباني. وغايات التصريح هي إرسال رسالة إلى أمريكا أن إيران هي الحاضرة في العراق، وأن شؤون العراق بيدها سواءً التهدئة والتفجير.

كالعادة، وبين الصمت كما فعلت مرجعية السيستاني، وأما إمام جمعة النجف فلم يكترث للدم المسال في الحويجة وإنما استنكر التصريحات الطائفية بزعمه!

وأما مقتدى الصدر وتياره فقد وصف ما جرى بأنه مجزرة واتهم الحكومة بأنها فتحت بابا للعنف وطالب بتشكيل لجنة برلمانية، ويبدو أن الصراع السياسي بين مقتدى والمالكي هو سبب هذا النقد الحاد وليس وطنية أو غيرة إسلامية، وإلا فهو أكثر إجراما بحق السنة من غيره!

أما شيوخ عشائر الجنوب (إخوة العروبة) فلم تتحرك نخوتهم تجاه إخوتهم عشائر الحويجة، سوى ما كان من بيان «التجمع الوطني الموحد لعشائر الجنوب والفرات الأوسط» وهو تجمع ليس له تأثير أو نفوذ في الوسط الشيعي.

أما حكومة المالكي فقد بلغ خبثها ومكرها أن استغلت مقتل خمسة جنود عراقيين قرب مدينة الفلوجة بعد أربعة أيام من المجزرة، لتقيم لهم مناحة تغطي بها على مجزرة الحويجة التي ذهب ضحيتها قرابة ٢٠٠ شخص بين جريح وقتيل، ولتبرز الحكومة على طاولة الإعلام قصة الجنود الخمسة، وحتى تسحب الحكومة بساط مجزرة الحويجة شرعت بالتهديد والحشد العسكري والطائفي، فأغلقت عشر قنوات فضائية عربية وعراقية، وأغلقت الحدود بين الأردن والأنبار، ومن حشد الجيش تمهيدا لهجوم مرتقب.

هذه الحوادث السالفة غيرت مجرى مطالب الحراك السلمية إلى سيناريو أشبه ما يكون بالتحشيد العسكري، والسنة لا يريدون الدخول في الخيار العسكري إلا إذا فُرض عليهم؛ لأنّ جاهزيتهم غير كاملة، كما أن حادثة الحويجة كشفت عن الضعف الواضح في الصف السني، هذا الضعف الذي لم يكن وليد الحراك بل إن الحراك جاء لينقذ السنة من هذا الضعف والخضوع للمالكي وشراء ذممهم بالمال والسلطة.

مخطط حكومة المالكي لشراء ذمم السُنّة العرب:

لا بد من الرجوع إلى الوراء قليلا لمعرفة مخططات الشيعة والمالكي تحديداً، فلقد عمل الشيعة منذ سنة ٢٠٠٨ تقريباً على مشروع شاركت به المخابرات السورية (تبعا للمخابرات الإيرانية) لشراء ذمم شيوخ عشائر الأنبار وغيرهم، وكان عزت الشابندر[1] القائم بهذا الدور في سوريا؛ وذلك بعد انفضاح زيارات بعض رؤساء العشائر لإيران سنة ٢٠١٠، ومسلسل شراء ذمم السُنة، بدءا من شيوخ العشائر وصولاً إلى شيوخ التيار السلفي الجهادي أمثال مهدي الصميدعي، وشراء ذمم قيادات من الصحوات ومستشاريها، فضلا عن صلات عميقة مع الحزب الإسلامي.

كما برزت فكرة تشطير المناطق السنية وإيجاد كانتونات شيعية فيها على غرار ما يفعله اليهود في فلسطين بزرعها بالمستوطنات، فقد كان مقرراً ضم منطقة النخيب لمحافظة كربلاء، وفصل محيط بغداد عن بغداد لأنه محيط سني، وتقسيم محافظة نينوى إلى محافظات منها محافظة شيعية، وإيجاد محافظة سامراء المقدسة الشيعية، كما أن المناطق السنية شهدت زرع مراكز ومقرات لحزب الدعوة، وتم شراء ذمم العديد من قيادات القائمة العراقية.

كل هذه الأمور كانت تسير بهدوء مخطط له، فجاء الحراك فقلب الطاولة وأفشل هذه المخططات؛ لذلك فإن في داخل التيار السني وداخل الحراك شخصيات سنية كثيرة تم شراء ذممها تنتظر الإشارة في أي لحظة لمساندة المالكي، وإن كانوا في الظاهر يؤيدون الحراك، وينادون بسقوط المالكي.

تداعيات مجزرة الحويجة:

كشفت مجزرة الحويجة عن أشياء كثيرة للتيار السني، فقد كشفت جزءا من تحركات هذا التيار

---

(١) عزت حسن علي الشابندر من مواليد ١٩٥٠، سياسي عراقي شيعي، يصنف على أنه من شيعة أمريكا، وزعيم حركة المسلمين العقائديين التي اتحدت بعد انشقاقها عن حزب الدعوة عام ١٩٧٥، وكان من أكبر اهتماماتهم رصد أخطاء وممارسات حزب الدعوة وفضحها والتشهير بزعامات الحزب، في الثمانينات دعمته المخابرات الليبية، تنقل بين سوريا والأردن وإيران، ترأس جريدة (البديل الإسلامي) الناطقة باسم جند الإمام في سوريا. كان ضمن المجموعة التي التقت – في حزيران ١٩٩١ في واشنطن بـ (جيمس بيكر) وزير الخارجية الأمريكي و(جون كيلي) مسؤول ملف العراق في الخارجية الأمريكية، والتي قدمت وثيقة مظلومية الشيعة وأن شيعة العراق يختلفون عن شيعة إيران، برفضهم لولاية الفقيه، والوثيقة تؤسس لتحالف شيعي أمريكي مهدت لغزو العراق واحتلاله.

المتواطئ مع المالكي؛ إذ بدأ هذا التيار بالمناداة برفع خيم المعتصمين ومفاوضة المالكي، وفض الاعتصامات، فبعد يوم من المجزرة أصبحت ساحات الموصل خاوية من المواطنين، مما يعني أن الحراك في الموصل يقف على أرضية هشة مهزوزة يجب إعادة النظر بها.

كما ظهر تصدّع في مواقف بعض العشائر في الأنبار وصلاح الدين بل حتى في كركوك (الحويجة) وأخذ بعضها يميل إلى التفاوض وفض الاعتصامات وأصبحت أصواته تعلو هنا وهناك.

وتبين أنه ليس هناك إجماع عشائري له رغبة بالمواجهة، بل يوجد شخصيات أو عوائل في داخل تلك العشائر هي من لها الرغبة في المواجهة؛ لأن العشيرة لم تعد تملك أبناءها كما كانت الأمور قبل عشرات السنين.

وبرز في هذه الأزمة دور جماعة الطريقة النقشبندية والبعثية وهو دور سلبي غير جيد، فقد توسعت تحركاتهم العسكرية بعد مجزرة الحويجة بطريقة القاعدة القديمة؛ يوم أن كانت تتبنى الهجوم على مناطق شيعية وتنجح في إيقاع خسائر كبيرة بالشيعة، ثم حين يحدث هجوم مضاد من قبل الشيعة (حكومة وميليشيا) تغادر القاعدة المناطق السنية وتتركها ساحات مفتوحة أمام الشيعة للقتل والحبس والتنكيل ومن ثم السيطرة عليها من قبل الشيعة، هكذا فعلوا بعد مجزرة الحويجة في عدة مناطق.

وأهداف هؤلاء هي أهداف حزب البعث (إن لم يكن الفصيل تابعاً للحزب أصلاً) وهو الرجوع بالأمور في العراق إلى الصفر (المعادلة الصفرية)؛ يريدون إسقاط العملية السياسية الموجودة والرجوع إلى المربع الأول بالعراق وهذا حلم جميل لو كان هناك قدرة على تطبيقه، إذ ليس للعراقيين السُنّة قدرة على ذلك ولكنها أحلام البعثيين التي يشاركهم فيها هيئة علماء المسلمين، وبعض الوطنيين وبعض من تسنّم منزلة الإفتاء في العراق وهو لا يفقه من الواقع إلا القليل.

تطورات الجمع بعد مجزرة الحويجة:

في ٢٠١٣/٤/٢٦ كانت (جمعة حرق المطالب) كرد فعل على مجزرة الحويجة، لكن يوم السبت ٢٠١٣/٤/٢٧ وقع مقتل الجنود الخمسة قرب الفلوجة، ليستعيد المالكي وزبانيته زمام المبادرة ليغطي بها على الجريمة الأولى ألا وهي مجزرة الحويجة.

وبدا الموقف الأمريكي باردا تجاه مذبحة الحويجة وحامياً تجاه مقتل الجنود، فقد أصدرت وزارة الخارجية تصريحا جاء فيه: «نحن نأسف للأرواح التي أزهقت في العراق خلال الأسبوع الماضي، كما ندين الهجوم البشع الذي وقع على خمسة من الجنود العراقيين العُزل في مدينة الرمادي في وقت سابق من أمس السبت»، معتبرة «عدم وجود مبررات لارتكاب مثل هذه الجريمة» وأبدت السفارة الأمريكية ترحيبها بـ«الدعوات التي ينادي بها الزعماء في محافظة الأنبار لتقديم مرتكبي هذه الجريمة إلى العدالة في أقرب وقت ممكن»، مشددة على وقوفها بـ«حزم إلى جانب الشعب العراقي الذي يسعى إلى العيش في سلام بعد عقود عديدة من الحرب».

وسبب هذا الموقف هو أن سياسة أمريكا (أوباما) لا تريد التدخل في هذه المرحلة لا في سوريا ولا في العراق ولا في غيرهما من البلاد، بينما تريد إيران جرّ أمريكا إلى معركة أخرى للتخفيف عن معركة سوريا، وللدخول في المفاوضات معها كورقة لصالح إيران، بل حتى الموقف الأمريكي الأخير من الموافقة الأولية لتزويد المعارضة السورية بالسلاح يجب أن يفهم في هذا السياق إذ سببه تحقيق موقف على الأرض لصالح الثوار السوريين حتى تحصل أمريكا على أوراق ضد روسيا في المفاوضات المرتقبة بين الرئيسين بوتين وأوباما في شهر حزيران/ يونيو القادم.

في ذات الوقت صعّد المالكي من لهجة التصعيد فقد أمر بتحشيد جيوش كبيرة في الأنبار، قسم منها هي ميليشيات جيش المهدي وعصائب أهل الحق وجيش المختار (واثق البطاط) الذين ارتدوا زي الجيش والشرطة للتحضير لهجوم على المعتصمين في الأنبار، مع تحريك عدة قطعات للجيش الحقيقي داخل الأنبار في مناطق (صحراء النخيب) إلى مناطق كبيسة والرطبة، كما تم تحريك قطعات للجيش متمركزة داخل الأنبار في منطقة البغدادي، مع قرار إغلاق الحدود مع الأردن يوم الأربعاء ٢٠١٣/٥/١م والذي سبقه بأيام (٢٠١٣/٤/٢٨) إغلاق عشر قنوات فضائية ووصمها بالطائفية مع حملة دعائية إعلانية ورصد آلاف الدولارات لمن يلقي القبض على مرتكبي جريمة قتل الجنود الخمسة.

وجرى اتهام مجموعة من قيادات الحراك بهذه

الجريمة مثل سعيد لافي وقصي الزبن وغيرهما، وتسريب أخبار عن محاولات لقتل قيادات في الحراك مثل أحمد أبو ريشة وعلي الحاتم والدكتور النائب أحمد العلواني وغيرهم، كل ذلك كان مقصودا لإدخال الرعب بالشائعات تمهيدا لمعركة مهمة تنهي جميع الاعتصامات السنية في العراق، وكانت طبول المعركة تدق، إلا أن شيئا لم يحدث؛ بينما بدأ المالكي بالتنازل الواضح لمطالب الأكراد بعد أن شعر أن مواجهته مع السنة العرب لا بد لنجاحها من تحييد الأكراد، وفعل ما كان قد رفضه عدة مرات وشكّل خطأً أحمرا بالنسبة له.

في يوم الجمعة ٢٠١٣/٥/٣ كان رهان الحكومة على جمعة ضعيفة مهزوزة إلا أن الواقع كان مخالفا لذلك فقد كانت من أسخن الجمع وسميت (جمعة الخيارات المفتوحة) وكسب محتجو العرب السُنة رهان إدامة الزخم الشعبي عندما تمكنوا من حشد مئات الآلاف في بغداد وخمس محافظات سنية أخرى متحدّين حكومة نوري المالكي التي عوّلت، من خلال إجراءات التضييق والقمع والحرب النفسية، على إضعاف الحراك السلمي للاحتجاجات المستمرة منذ أكثر من أربعة أشهر.

ومع أن قادة الاعتصامات تركوا الباب مواربًا أمام الحكومة لحل أو تسوية تتيح تنفيذ المطالب السنية، إلا أنهم وضعوا المالكي ومن خلفه التحالف الشيعي الحاكم، أمام أربعة خيارات:

الأول: استبدال المالكي لأن الاعتقاد بوجود أمل في المالكي هو ضياع وقت وهلاك.

الثاني: أن نحكم أنفسنا بأنفسنا وهو ما يدعى بالأقاليم وهذا مما يحافظ على وحدة العراق.

الثالث: تقسيم العراق وهذا مرفوض من الجميع.

الرابع: المواجهة المسلحة بين السنة والشيعة (الحكومة).

والخياران الأخيران مرفوضان وإنما طرحا للتعجيز، وكأن هذه الخيارات طُرحت من أجل اختيار الخيار الثاني وهو الفيدرالية مما أعاد الصراع القديم الجديد حول الفيدرالية يقود الرافضين لها البعثيون وهيئة علماء المسلمين وبعض رؤساء العشائر، هذا الصراع الذي حرص المعتصمون (أهل السنة) على عدم إثارته لأربعة شهور، لكنه اليوم يطرح كخيار لجمع من أهل السنة لأنهم لا يجدون أفقا أو ضوءا في آخر النفق.

وقد كان السنة تلقوا وعودا معسولة من قبل الأكراد بالدعم، بعد عدة اجتماعات بين فصائل مسلحة والإخوان المسلمين وبعض الوطنيين والأكراد لتشكيل مرجعية سنية تنادي بالفيدرالية لمناطق السنة العرب، وكان الأكراد قد طالبوا العرب السنة بتقديم عدة تنازلات مقابل دعمهم، ولم ينتهِ الأمر إلى شيء.

تحليل الوضع في العراق:

الوضع في العراق محكوم بالدرجة الأولى بوضع المنطقة، فالكيانات الشيعية موجَّهة ومسيطر عليها من قبل إيران، وهي قد أخذت النصيب الأكبر من السيطرة على العراق عقب الانسحاب الأمريكي منه، والثورة في سوريا أول تأثير لها كان هو تأجيج الحراك في العراق وهو أمر حصل بشكل عفوي.

القوى الدولية ومنها أمريكا لا تريد إثارة إيران في العراق ولا تريد فتح الملف العراقي إلا بعد نهاية الملف السوري، وقد وافقها على هذا الرأي الدول العربية، لا سيما دول الخليج. لذلك لم تتفاعل الدول العربية بقوة مع الحراك العراقي خلال الشهور الأربعة السالفة، ولم تستغله، وكما ضيعوا صدام حسين سابقا يضيعون الآن قوة بشرية قوية داخل العراق إلا وهي القوة السنية التي بكل ما أوتيت من طاقات تصبّ في صالحهم، وربما كانت تركيا أكثر وعياً لدور العراق في أمنها القومي التركي.

الصراعات داخل المكونات السنية متعددة؛ منها صراع مصالح ومنها صراع أفكار، ولا توجد جهة مرشحة لجمع أهل السنة على مشتركات الحد الأدنى لهم.

ويبدو أن الأمور مقبلة عاجلا أم آجلا إلى صراع مسلح، ولابد لأهل السنة من إعداد العدة العسكرية الحقيقية، ويبدو أن الفصائل المسلحة التي واجهت الأمريكان ليس لها القدرة السابقة ولا البيئة ولا الحاضنة السنية العربية مُهيأة الآن مثل أيام الاحتلال الأمريكي. والجهات المتطرفة أكثر جهوزية وأخشى ما نخشاه أن تكون الجهات المتطرفة هي الخيار الأكثر حضورا من خيار المقاومة المعتدلة، وكما قيل:

إذا لم تكن إلا الأسنةُ مركباً

فما حيلةُ المضطر إلا ركوبها

وفي ذات الوقت فإن التيارات الدينية كالإخوان والسلفيين، لا يزالون على حالهم، فالأول يتبع مصالح حزبه؛ شأنه شأن حزب البعث مع الأسف، والثاني غارق في تشرذمه، والتيار العلمائي موجَّه من قبل الهيئة وحزب البعث، والفصائل المسلحة في تركيا تخطط وتغرد خارج السرب بحثا عن استحقاقاتهم الخاصة (وهي ثمرات قتال الأمريكان) والقائمة العراقية مشرذمة.

مع كل ذلك فإن الحراك أبرزَ شخصيات سُنية جيدة، وهناك وعي جيد لمصالح السنة، والسنة في نظر عدوهم الشيعة وإيران، لا يزالون يمثلون ثقلا ورقما صعبا وما تنازل المالكي للأكراد إلا دليل على ما نقول، ولابد لأهل السنة من الاستعداد العسكري وإبراز جانب القوة؛ ولا نقصد القوة العسكرية ولكن قوة الاتحاد ولو بالظاهر وعدم الاختلاف المعلن وكشف تيارات النفاق، والتوجه وعدم اليأس من الدول العربية والإسلامية لطرح القضية العراقية وعدم تخوين بعضهم البعض.

وعدم اليأس كذلك من الأكراد فإن كسب الأكراد مطلوب على كل عيوبهم، وطرحهم من المعادلة خطأ، كما أن استغلال ما يجري في سوريا أمر مهم.

ثورة السنة في العراق..
سلمية "تموت" والبندقية تنتفض

معتز بالله محمد (*) – خاص بالراصد

مثلت المذبحة التي ارتكبها جيش المالكي في ساحة اعتصام الحويجة بمحافظة كركوك العراقية، نقطة تحول في تاريخ الكفاح السني ضد الحكم الطائفي الذي يحكم قبضته على البلاد منذ مجيء الاحتلال الأمريكي عام ٢٠٠٣.

فتلك المذبحة التي أوقعت أكثر من ٦٠ متظاهرا سلميا عراقيا وعشرات المصابين، لم تأت اعتباطا أو كخطأ استراتيجي من قبل قادة جيش المالكي، بل تم الترتيب لها جيدا، بعد أن اشتعلت المحافظات السنية بالمظاهرات المطالبة برحيل رئيس الوزراء نوري المالكي والكف عن تهميش السنة وإقصائهم تحت مزاعم اجتثاث البعث ومكافحة الإرهاب.

فجاء اقتحام ساحة الاعتصام بنفَس طائفي بحت،

ويظهر فيديو تم تسريبه حديثا ذلك الوجه المقيت لطائفية جنود المالكي، وهم يركلون وجه أحد المعتصمين السنة بعدما أردوه قتيلا.

اعتراف وتهديد

وللحديث عن تبعات تلك المذبحة يجب تتبع مسارها وتحديد كافة الأطراف الضالعة في تنفيذها، ففي البداية تحدثت مصادر سنية عراقية عن مشاركة فيلق القدس الإيراني في أحداث الحويجة، الأمر الذي نفته حكومة المالكي جملة وتفصيلا، فجاء اعتراف إيران بالمشاركة في أول عملية للحرس الثوري الإيراني في منطقة كركوك بالعراق، ونقلت صحيفة «أخبار روز» الإيرانية عن العميد ناصر شعباني «أن الحرس الثوري الإيراني نفذ في الأسبوع الماضي أول عملية أمنية له في العراق بالاشتراك مع الجيش العراقي منذ إعلان الثورة الإسلامية والإطاحة بنظام الشاه في إيران»، مهددا بأن هذه العملية لن تكون الأخيرة، بل إنها قد تكون بداية لتعاون أمني عسكري إيراني عراقي.

مضيفا «أن العملية الأمنية التي استهدفت ساحة يتجمع فيها المئات من المتمردين الوهابيين في إحدى مدن كركوك نجحت في القضاء على إحدى أهم نقاط قوة المتمردين».

ويحمل هذا الاعتراف في طياته تهديدا إيرانيا خطيرا، فكما أن «حزب الله» اللبناني لم يعد يجد غضاضة في الاعتراف بالمشاركة في المعارك الدائرة بحمص السورية، فإن طهران هي الأخرى أرادت توجيه رسالة مهمة للسنة من خلال الاعتراف الوقح والذي قد يثير دهشة البعض بالضلوع في قتل العراقيين.

رسالة إيرانية

الرسالة مفادها أن حكم الملالي في طهران لن يسمح بأي حال بالقضاء على مشروعه الطائفي في العراق ولن يسمح بخسارة مكتسبات المشروع الشيعي، وصعود الشيعة إلى سدة الحكم، واتخاذ العراق منطلقا للتمدد نحو باقي الأقطار العربية.

(*) كاتب مصري.

وفي حين يرى محللون أن إيران التي تحارب قواتُها إلى جانب قوات الأسد في سوريا، قد تضحي بحليفها في دمشق ذات يوم، فإنهم يؤكدون أنه من المستحيل أن تقبل بسقوط حلفائها الشيعة في العراق، وذلك انطلاقا من عدة أسباب، على رأسها الأهمية الاستراتيجية التي توليها طهران للعراق، باعتبارها قاعدة انطلاق نحو التهام بقية منطقة الخليج، فطهران لم تستطع تركيع بغداد بالقوة العسكرية، خلال حرب الثماني سنوات ١٩٨٠-١٩٨٨م، ووقفت بلاد الرافدين حجر عثرة أمام ما يعرف بتصدير الثورة الإيرانية، إلى أن تمكنت إيران من تحقيق أطماعها الاستعمارية عبر الاحتلال الأمريكي للعراق فقدمت الدعم اللازم لواشنطن وهو ما اعترف به من قَبل الرئيس الإيراني أحمدي نجاد، ورئيس مجمع تشخيص مصلحة النظام هاشمي رفسنجاني، ونائب رئيس إيران السابق محمد علي أبطحي .

وتدرك طهران كذلك أن بفقدانها المؤكد لحليفها السوري، ستكون قد خسرت أحد أهم ركائز مشروعها في المنطقة، وانقطعت همزة الوصل بينها وبين حزب الله اللبناني، الذي يعتبر الإيرانيون وجوده انتصار للثورة الخمينية في الخارج، ومن ثم، فإن التضحية بنظام الأسد ستمثل زلزالا قويا في طهران، وانتكاسة شديدة للمشروع الشيعي، الأمر الذي يجعل من خسارة العراق أيضا أمرا غير مقبول بالمرة بالنسبة لإيران، التي استطاعت بعد قرون طويلة من التربص والأحقاد التاريخية للعراقيين والعرب، الذين قضوا على الامبراطورية الفارسية المجوسية، أن تأخذ العراق على طبق من ذهب.

الأحواز

وبخلاف ذلك فإن نجاح الثورة العراقية سوف يتبعه بالتأكيد وصول هذا المد الثوري إلى داخل إيران نفسها، في مناطق الأحواز العربية التي تحتلها الدولة الصفوية والتي تقطنها غالبية من العرب السنة.

وما يؤكد تلك الفرضية ما لاقته الثورة العراقية من ترحيب من قِبل الحركة الوطنية الأحوازية التي فقدت عمقها الاستراتيجي المتمثل بالعراق، بعد هيمنة إيران على بلاد الرافدين، وملاحقة المخابرات الإيرانية للنشطاء الأحوازيين داخل العراق، وقتلهم بأبشع الطرق وإلقاء جثثهم في نهر دجلة.

سيناريو التقسيم

لذلك سوف تدفع إيران بمليشياتها من جيش المهدي وأخواته، أو تتدخل بشكل مباشر كما حدث في الحويجة لإبادة أهل السنة وإعادة أجواء الحرب الطائفية التي شهدتها البلاد بين عامي 2007-2006م، وسوف يتم ذلك من خلال ارتكاب مجازر جديدة ضد المعتصمين في ساحات الاعتصام بست محافظات عراقية ينتفض فيها أهل السنة، وكذلك من خلال استهداف مساجد السنة، وهو ما يحدث حاليا، أو إعادة عمليات القتل على الهوية واختطاف العراقيين السنة وتعذيبهم وظهور ألف مجرم طائفي على شاكلة «أبو درع».

وتخطط إيران لتكون الحرب الطائفية مقدمة نحو تقسيم العراق وإقامة دولة شيعية كبيرة تضم محافظات النجف وكربلاء وميسان وذي قار والديوانية وواسط والبصرة وبابل والقادسية وقسم الرصافة من العاصمة بغداد بعد سقوط الأسد في سوريا، وهو ما كشفه مصدر رفيع في حزب «العدالة والتنمية» الإسلامي التركي، في حديث لصحيفة «السياسة» الكويتية، حيث أكد أن عددا من القيادات الإيرانية اقترحت على التحالف الشيعي، الذي يقود الحكومة العراقية برئاسة المالكي، إقامة تلك الدولة، وذلك لقناعة طهران والمالكي معا أن سقوط الأسد سيؤدي إلى قيام تحالف إقليمي قوي، يضم تركيا ومصر ودول الخليج العربي والأردن، والحكم الجديد في سوريا، لدعم السنة في العراق والعمل على إعادة ترتيب الأوراق بعد الإطاحة بالحكم الشيعي في بغداد.

وأكد المصدر التركي أن «المرشد الأعلى» الإيراني علي خامنئي وقيادات إيرانية رفيعة، تعتقد أن قيام دولة شيعية قوية في العراق أفضل بكثير من حكم شيعي ضعيف على كل العراق، سرعان ما يسقط هو الآخر بعد سقوط الأسد، وأنه من الأجدى إنشاء دولة قوية للشيعة، تحصل على ما يتجاوز الـ ٧٠٪ من الثروة النفطية في العراق.

كذلك باتت طهران على قناعة تامة بأنها مضطرة لتحصين نفسها مما باتت تسميه بـ «المد الإسلامي السني» في المنطقة، والذي رسخ له ربيع الثورات العربية.

كفاح السنة

ولم يكن من الممكن بحال أن يقف السنة مكتوفي الأيدي إزاء تلك التطورات الخطيرة منتظرين الذبح تحت المقاصل الصفوية، فكان أن بدأت العشائر في المحافظات السنية الثائرة تشكيل جيش لمواجهة وحوش الطائفية، حيث أعلن قادة المعتصمين في خمس محافظات عراقية بينها الأنبار وصلاح الدين ونينوى عن تشكيل جيش أطلقوا عليه تسمية (جيش العزة والكرامة) للدفاع عن النفس والوقوف أمام أي «اعتداء» من الجيش النظامي.

وقد أعلن عن تشكيل النواة الأولى لهذا الجيش في محافظة الأنبار غرب العراق، وأوضح الشيخ سعيد اللافي، أحد المتحدثين باسم ساحة الاعتصام في الأنبار، أن السنة قرروا تشكيل «جيش العزة والكرامة» للحفاظ على أمنهم، وقال: إن «الجيش مكون من ١٠٠ فرد من كل عشيرة للدفاع عن الأنبار... وملاذ آمن لأهل السنة من أي مكروه»، داعيا أفراد الشرطة والجيش من السنة، إلى الانضمام لصفوف جيش العزة والكرامة، فيما هنأ الشيخ عبدالملك السعدي أبرز علماء العراق «المجاهدين»، بإعلان تشكيل الجيش.

المقاومة حاضرة

وفي حين أعلنت فصائل المقاومة الإسلامية في السابق، قبل أربعة شهور، إثر اندلاع الاحتجاجات في المحافظات السنية، أنها مع سلمية الثورة العراقية، وأن دورها سوف ينحصر في حماية ساحات الاعتصام، والتصدي لأية محاولة لاقتحامها من قبل جيش المالكي، تؤكد المصادر أن فصائل المقاومة -التي كانت تقاتل المحتل الأمريكي- تقوم حاليا بتجهيز الجيش الجديد، والتخطيط لعملياته، بعدما لفظت «سلمية» الثورة العراقية أنفاسها الأخيرة، بعد مذبحة الحويجة.

انفجار وشيك

وتبقى الأمور مرشحة للانفجار خلال الأيام القليلة القادمة، حيث بات من المرجح أن المالكي- الذي استغل هذه الأحداث لتزوير انتخابات مجالس المحافظات لصالح الأحزاب الشيعية -سوف يقدم على ارتكاب حماقة جديدة بتعليمات من طهران، ستكون بلا شك حماقته الأخيرة، قبل أن يتحول العراق إلى كتلة لهب، وحرب ضروس بين السنة وأجهزة المالكي ومليشياته الأمنية، وسط تأكيدات على أن الإطاحة برئيس الوزراء بات مطلبا لايمكن التراجع عنه بالنسبة للمعتصمين من أهل السنة، في وقت تلتزم فيه المراجع الشيعية وعلى رأسها «علي السيستاني» الصمت، باستثناء دعوات تطلق على استحياء منادية بضرورة الحوار، ونبذ ما يسميه الشيعة عنف المعتصمين

الإنتاج الفكري العراقي في مواجهة التشيع (٢)

سعيد بن حازم السويدي(*)- خاص بالراصد

تناولنا في الجزء الأول أهمية الموضوع لاسيما في هذه الفترة ثم افتتحنا البحث بآثار ومؤلفات علامة العراق أبي المعالي الألوسي وتلميذه الأستاذ الأثري،

واليوم نتوقف عند عَلَمين من أعلام الموصل لننظر في مساهماتهم:

٣- محمود الملاح ... العلامة اللغوي والشاعر الأديب

ولد في الموصل سنة ١٨٩١م، ولازم شيخه العلامة عبد الله النعمة، أبرز علماء السلفية في العراق، والملاح من الأعلام البارزين في العراق، وإنما أحببنا تسليط بعض الضوء على إنتاجه المتميز ودوره الفريد وجهاده الفكري المستمر حتى وفاته عام ١٩٦٩م رحمه الله تعالى وأجزل له المثوبة، فبرغم مكانته المتميزة بين الأدباء والشعراء وأهل اللغة، لكن الناظر في مؤلفاته المطبوعة يجد أنه تفوق أيضاً على كثير من علماء الدين وأهل الاختصاص بالمعارف الشرعية لاسيما في مجال التصدي للتشيع والفرق المنحرفة كالقاديانية والبهائية.

قومية الملاح: كان الملاح من رموز الاتجاه العروبي الذي يجمع بين الدين والقومية، غير أنه نبذ طريقة القوميين التقليديين في جمع الأمة وتوحيد صفوفها دون أي اعتبار لخطر الوجود الشيعي بخرافاته وجهالاته وخياناته، لذا رأى الملاح أنه لا بد من محاربة الأفكار الدخيلة والغزو الثقافي والدس في كتب الاعتقاد والتاريخ

(*) كاتب عراقي.

والأدب حتى يسلم للعرب تاريخهم وتراثهم بعيداً عن الدس الشعوبي والتدليس الشيعي، يقول الملاح: (إن اجتماع الأمة على ثقافة واحدة هو جُلّ مطلوبي وإن فاتتها السياسة الواحدة (والتي عليها مدار دندنة القوميين) لأن الأمة إذا حملت روحاً واحدة لا يضرها أن يحمل ساستها أرواحاً مختلفة، والوحدة إنما تتحقق بفهم الحقائق على وجهها، ومهما وقفت العوائق في سبيل الحقائق فسوف يكب العوائق على وجهها إيراد الحقائق على وجهها.

وإيراد الحقائق على وجهها موقوف على الجرأة والصراحة والتجرد من العصبية الحمقاء والتخلي عن المطالع والتضحية ببعض المنافع)[1].

من هنا تميز الإنتاج الفكري للأستاذ الملاح حيث كان قلمه سيفاً فريداً ووحيداً في مواجهة التشيع، لأن التيار الديني في العراق والعالم الإسلامي كان في غالبه يسير في اتجاه (التقريب والتقارب مع الشيعة)، بحجة التصدي لأفكار الإلحاد والشيوعية، وهو ما دعاهم بشكل أو بآخر إلى التقارب مع الشيعة[2] بغية توحيد الصف وحماية المجتمع من الغزو الفكري الهدام.

وكان رحمه الله واسع الاطلاع على كتب الشيعة، شديد المتابعة لكل ما يصدر عنهم من رسائل ومؤلفات وأخبار وتحركات ونشاطات، وفي الوقت ذاته كان متابعاً لما يصدر عن السنة المتساهلين الذين نعتهم بـ(المائعين)، فهو يرصد الغزو الشيعي من جهة، والتراجع والتخاذل السني من جهة أخرى، وهذا مما دفعه للوقوف بحزم والمرابطة على هذا الثغر لإيقاظ الغافلين وتنبيه الجاهلين من أبناء وطنه وأمته، ومن أهم مؤلفاته في هذا الشأن:

١- الوحدة الإسلامية بين الأخذ والرد.
٢- الرزية في القصيدة الأزرية.
٣- تحذير المسلمين من المتلاعبين بالدين.
٤- حجة الخالصي: مناقشة الخالصي في بعض آرائه.
٥- تعليقات وحواشي على كتاب ابن سينا.
٦- تشريح شرح نهج البلاغة.
٧- حقائق ودقائق في مقدمة ابن خلدون.
٨- البابية والبهائية.
٩- الآراء الصريحة لبناء قومية صحيحة.
١٠- تاريخنا القومي بين السلب والإيجاب.
١١- المجيز على الوجيز.
١٢- نظرة ثانية على مقدمة ابن خلدون.

وللملاح رسائل لم تنشر بعد، بالإضافة إلى مقالاته في صحيفة السجل، وصحيفة الفتح، فضلاً عن رسائله وتعليقاته التي عزم على إخراجها ولم تصلنا.

منهجه: يلاحظ على آثار الملاح ومؤلفاته ما يلي:

١- قوة العبارة ومتانة الألفاظ وجودتها، فهي اللائقة به كأديب وشاعر ومحقق لغوي، وباحث واسع الاطلاع والنظر.

٢- اللغة والتعابير الساخرة التي يعتمدها للنيل من خصمه وفضحه والتعريض بمخازيه وتناقضه وتهافت حُججه وسقوط شبهاته، فالقارئ للملاح لابد له من إلمام جيد بموضوع الخلاف بين المسلمين والشيعة حتى يتسنى له فهم مراد الملاح ومقصده من بعض المفردات والمفاهيم التي تختزل علما كثيرا وخبرة واسعة.

٣- شمولية الطرح: فردود الملاح تحيط بالموضوع من كافة جوانبه النظرية والواقعية، الدينية والسياسية والتاريخية.

٤- سعة الاطلاع: فمن يطالع فيما دوّنه الملاح يجد بين يديه مكتبة من المؤلفات والرسائل الشيعية والسنية (القديمة والمعاصرة) التي نظر فيها الملاح ونقل منها أو علّق على بعض ما فيها أو نقد شيئا من أفكارها.

فالملاح ليس مجرد مثقف عروبي جرّد قلمه للدفاع عن دينه وتراث أمته، وإنما هو بحاثة محقق وخبير مدقق لا يقل شأنه عن ذوي الاختصاص والمعرفة بعلوم الشريعة ومسائل الدين ومباحثه الدقيقة، وعباراته تدل على خبرته وعمق معرفته بمكائد الشيعة ودهاليزهم في الالتفاف والخداع والدس والتسلل.

---

(١) الوجيز، ص ٤.

(٢) يراجع ما كتب عن نشاط الإخوان المسلمين في تلك الفترة: الإخوان المسلمون في العراق لمحسن عبد الحميد، الإخوان المسلمون في العراق لإيمان عبد الحميد الدباغ، صفحات من تاريخ الدعوة الإسلامية في العراق لمحمد محمود الصواف، أمجد الزهاوي: عالم العالم الإسلامي لكاظم أحمد المشايخي.

يقول الملاح: (إن العالم الشيعي مهما كَبُر لا يخرج عن دائرة الروزخون في تفكيره)[1]، والروزخون: هو خطيب ما يعرف بالمنبر الحسيني الذي يقرأ رواية مقتل الحسين ويستعرض المظالم المزعومة التي تعرض لها أهل البيت ليهيج عاطفة الجهلة العوام.

ويقول أيضاً: (كنت أظن ابن مطهر على شيء من دقة النظر لما بلغني أنه كان يصارع ابن تيمية في ميدان المناظرة فلما وقفت على طرز كتابه هذا (إثبات الوصية) تبين لي أن بعض الحجا مقتطع من الحجارة (وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء).. ولا عجب من شيعي أن يكون أديباً وشاعراً لأن الأدب والشعر سمة للشيعة لترجيحهم جانب العاطفة في التنشئة الأولى)[2].

الملاح ومقاومة الغزو الفكري الشيعي

تكشف جهود الملاح المتميزة عن بُعد نظر وحسن إدراك ووعي للمشكلة، لكنه وعي جاء متأخراً، حيث يقول: «وجدنا ذلك (يعني سب الصحابة والتعريض بذمهم) في جريدة كانت تصدر في العراق قبل عشر سنين لشيعي أبوه مجتهد كبير، ومن هنا تعلم إنّ «التحرش» (يعني الهجوم الشيعي) قديم ولم ننتبه له إلا بعد أن طمى السيل»[3].

كان الملاح يتابع كل خبر أو مقال أو كتاب يصدر حول الفرق والنحل لاسيما التشيع فيرصد ما يكتبه الفريقان (السنة والشيعة) ثم يدون تعليقه إما بمقال أو مصنف صغير أو رد وافٍ، وكانت جريدة السجل لصاحبها الأستاذ الفاضل طه الفياض العاني رحمه الله هي الساحة الأولى التي يستعرض فيها الملاح إبداعه الفكري وتميزه ودقة نظره وعمق تجربته.

حرص الملاح على إيصال رسالته إلى كافة مكونات المجتمع الإسلامي على اختلاف اتجاهاتهم الفكرية، كالأزهريين والصوفيين والعلمانيين؛ فقد أورد مناقشةً جرت بينه وبين أحد الصوفية في كتابه «المجيز على الوجيز»، كما حذر من خطورة «دار التقريب» في القاهرة محذراً الأزهريين وعلماء مصر من عواقب بقائها.

(١) المجيز على الوجيز، ص ١٠٥، هامش.
(٢) الرزية في القصيدة الأزرية ص ٧٩.
(٣) المجيز على الوجيز، ص ٨٤ هامش ١.

كما كتب مخاطبا حكام تركيا العلمانيين قائلا: (ولا يزال في تركيا اليوم رواسب باطنية برغم الانقلاب الكمالي، ونسمع عن بعضهم أشياء ربما كانت الحكومة التركية غافلة عنها باعتبارها علمانية! ونرى من مصلحة الحكومة التركية أن تفتح أعينها برغم علمانيتها، وأن تنوط التهذيب الديني بعلماء مدركين كيلا يكون لتسويلات الباطنية منافذ في الشعب التركي العزيز، فقد بلغنا أن في تركيا اليوم مشعوذاً معلوماً يروّج بين الطبقة الغافلة (صاف دل) سلع الباطنية البائرة، ستكون رأس رمح في المستقبل، ولا يغر الحكومة مبدأ (حرية العقيدة) إذ ليست كل عقيدة تستحق الحرية، لاسيما إذا كانت غطاء لأغراض باطنية فهي بمنزلة جمعية سرية تغذيها جمعيات سرية من قريب أو بعيد)[4].

التصدي لمكر التقريب المزيف

حرص الملاح في كثير من مؤلفاته على فضح محاولات التقريب التي يقوم بها الشيعة، والتي كان يرى فيها محاولات للتخدير بغية نشر الفكر الشيعي وتشويه الحقائق وطمسها.

وكان يتوجه بالنداء المحذر والنذير المتكرر إلى أعلام الأزهر، يقول الملاح: (متى يدرك المغفلون أن هذه النجاسات (بعد أن سرد نماذج من غلو الروايات الشيعية) لا يشتغل بها قلب طاهر؟ ومتى يقنع أدعياء «الوحدة الإسلامية» أن مخازيهم قد افتضحت فلا سبيل إلى تصديق دعاويهم ولا الاستماع إلى دعاويهم؟ والإشكال ليس هنا، بل الإشكال في العمائم المتدحرجة إلى دار التخريب

فلو أن دائي من حبيب مقنع
عُذرت، ولكن من حبيب معمم

فأرشدكم الله يا أمثال أبي زهرة ومحمد عرفة، فقد أصبحت عناوينكم ماركة معارة لترويج بضاعة (المغارة) فمتى تستيقظون)[5].

ويقول أيضاً: (من هذا الباب (يعني التقيّة) فتك (فحل التقريب) – ولعله يقصد الخالصي- في فحول أهل مصر! فمنهم من قضى نحبه كالشيخ عبد المجيد سليم

(٤) المصدر السابق، ص ١١٠.
(٥) المصدر السابق، ص ٧٨- ٧٩.

وعلي علوية باشا والقليبي ومنهم من ينتظر كبعض كبار العلماء، وسوف أتعقبهم حتى يعلنوا براءتهم من دار التقريب)[1].

ويركز الملاح على محاولات المرجع محمد مهدي الخالصي الذي تظاهر برفض بعض البدع الشيعية وأظهر الترضي عن الشيخين ودعا إلى الوحدة والاجتماع، واغتر به بعض أهل السنة، فكان الملاح له بالمرصاد لاسيما في كتابه «الوحدة الإسلامية بين الأخذ والرد».

وفي بعض مؤلفاته كان الملاح ينعت الخالصي بـ (دجال مدينة الجهل)، يعني بذلك مدرسة «مدينة العلم» التي كان يرأسها في الكاظمية ببغداد، كما نعته في بعض المواضع بـ(ابن مطهر عصره) باعتباره داعية إلى التشيع كحال ابن المطهر الحلّي صاحب كتاب «منهاج الكرامة» الذي ردّ عليه شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه القيم (منهاج السنة).

الملاح وتهمة «الطائفية»: عانى الملاح مما يعاني منه المتصدون للتشيع في زماننا من الاتهام بالطائفية وإثارة النعرات المفرقة، ولذلك كتب موضحاً ومبيناً: (إنما يهمنا أمر الطوائف التي لها بيننا دعاة كالاثنا عشرية والبهائية والأحمدية المنتمية إلى غلام أحمد القادياني، ولهؤلاء وسائل ماكرة قولية وعملية وتحريرية، ولذلك لا ينبغي حمل عملنا على التحرش ولا وصمنا بالطائفية؛ لأنا مدافعون والدفاع حق شريف)[2].

تغييب الملاح: يقول الأستاذ أحمد دهش النعيمي: (لقد غُيّب الملاح كآخرين مثله نالهم ما ناله من التغييب عن الساحة الأدبية والفكرية في حياته وبعد مماته والتي وسّعت لكثير من العراقيين، وكذلك للكثير من القادمين من المجهول وكبروا باسم العراق ونالوا مباركته بشتى الوسائل و«ملاحنا» كان بعيداً عن كل الوسائل سوى وسيلة الصدق بالحق التي لا تروق للكثيرين فهو بعلمه ملاح سفينة قد سافر في عبابه والآخرون يجدفون في زوارق لا يتعدون المياة الضحلة قرب الساحل وشتان، وقد قيل قديماً: إن البغاث في أرضنا يستنسر)[3].

٤- عبد المنعم الغلامي .... النسّابة والمؤرخ الموصلي

ولد في الموصل عام ١٨٩٩م، في أسرة عرفت بالعلم والأدب، فوالده العلّامة محمد سعيد الغلامي، وأخوه الأكبر «محمد رؤوف الغلامي» من مثقفي الحركة الوطنية المناهضة للإنكليز.

كان الغلامي وأخوه «محمد رؤوف» من رموز التيار السلفي المعروف آنذاك بالإصلاحي (الذي يجمع بين الاتجاه الديني والقومي)، وقد تبنى هذا الاتجاه عدد من أعلام الموصل منهم (قاسم الشعار ومحمود الملاح وداؤد آل زيادة ونشأت المفتي وفاضل الصيدلي وضياء يونس وحسين النعلبند ورؤف الشهواني وغيرهم)[4].

من مؤلفاته في هذا الباب: بقايا الفرق الباطنية في الموصل.

السياحة والفن والإعلام.. إيران والحرب الناعمة

أسامة الهتيمي(*) – خاص بالراصد

على الرغم من أن قادة الدولة الإيرانية الشيعية لم يستبعدوا مطلقا استخدام القوة الخشنة في تصدير مبادئ ثورتهم الخمينية التي وقعت عام ١٩٧٩م إلى بعض البلدان العربية والإسلامية المجاورة للدولة الإيرانية سواء كان ذلك بدعم بعض الحركات الموالية لهم أو المتعاطفة مع مبادئ هذه الثورة إلا أنه بقي أن شعار هؤلاء القادة هو «ما لا يمكن أن تحققه بالقوة يمكن أن تحققه بغيرها» فبدا أن هذا هو النهج الأصلي والثابت لديهم خاصة وأن كل نماذج استخدام القوة الخشنة أثبتت عدم جدواها بل على العكس كان لها آثارها السلبية على إيران وما تريد أن تصدره.

فالحرب الإيرانية العراقية التي استمرت لثماني سنوات متتالية (١٩٨٠ – ١٩٨٨م) كانت سببا في

(١) المصدر السابق، ص ٩٩ هامش ١.

(٢) المصدر السابق، ص ٨٧.

(٣) ديوان الملاح، جمعه: أحمد دهش النعيمي ص ١٩.

(٤) موسوعة أعلام الموصل في القرن العشرين للأستاذ عمر الطالب.

(*) كاتب مصري.

اصطفاف عربي إسلامي ضد إيران بغض النظر عن صاحب الحق في القضية التي اندلعت بسببها الحرب إذ استشعر العرب أن إيران ساعية إلى إثارة التوتر والقلق في المنطقة وأن حربها مع العراق ليس إلا بداية لسلسلة من نزاعات إقليمية تنوي أن تشنها لتحقيق طموحاتها الشعوبية التوسعية والتي تستخدم فيها الإسلام ستارا لتحقيق مآربها وهو التفسير الذي أيدته سياسات إيران سواء فيما يتعلق بالجزر الإماراتية الثلاث (أبو موسى وطنب الكبرى وطنب الصغرى) أو في البحرين.

كذلك فقد كانت تجربتها الأخيرة في اليمن نموذجا يؤكد لها أن القوة ليست هي الحل وليست السبيل الأمثل لتحقيق ما تريد، فعلى الرغم من حالة الاستياء التي سادت الشعب اليمني ضد قيادته آنذاك المتمثلة في الرئيس علي عبد الله صالح وعلى الرغم أيضا من عدم القبول التام لصالح لدى الشعوب العربية والإسلامية إلا أن الرئيس اليمني لاقى كل الدعم من شعبه ومن الشعوب العربية والإسلامية في مواجهة التمرد الحوثي عندما استشعر الجميع خطر نجاح هذا التمرد الذي لم يكن إلا شوكة أرادت إيران أن تضغط بها على بلدان الخليج عامة والمملكة العربية السعودية خاصة.

في هذا السياق فقد أدركت طهران أن القوة الناعمة هي الطريق الأفضل الذي يجب أن تسلكه، فالقوة الناعمة ووفق التعريف الاصطلاحي لها تعني (أن يكون للدولة قوة روحية ومعنوية من خلال ما تجسده من أفكار ومبادئ وأخلاق ومن خلال الدعم في مجالات حقوق الإنسان والبنية التحتية والثقافة والفن مما يؤدي بالآخرين إلى احترام هذا الأسلوب والإعجاب به ثم اتباع مصادره كما يطلق هذا المصطلح على وسائل الإعلام الموجهة أو ما يسمى بالإعلام الموجه لخدمة فكر ما)، وتعتبر القوة الناعمة من أفضل الأسلحة السياسية العسكرية إذ أنك تستطيع السيطرة على الآخرين وأن تجعلهم يتضامنون معك دون أن تفقد قدراتك العسكرية. ومن ثم فإن سلوك هذا الطريق سيوفر على إيران الكثير من التضحيات التي تقدمها في حال استخدمت القوة الخشنة، وفي ذات الوقت فإن النتائج المتحققة جراءها ستكون أفضل بكل تأكيد سواء على المستوى السياسي وهو ربما الأهم أو على المستوى الفكري والعقائدي الذي ليس إلا وسيلة لتحقيق فكرة الولاء والتبعية لقياداتهم.

وتحركت الدولة الإيرانية الشيعية على مستويات عدة في حربها الناعمة للنفاذ إلى عقل وقلب المواطن العربي المسلم السني حيث حددت المستوى الذي تتحرك بشأنه وفق الظروف والملابسات السياسية التي تمر بها المنطقة فضلا عن التطورات التكنولوجية الحادثة في المعمورة فما أن حدثت ثورة الاتصالات الهائلة وأصبح بإمكان أية دولة في العالم أن تبث قنوات فضائية ناطقة بأية لغة حتى سارعت إيران إلى أن تبث عددا من القنوات الفضائية الناطقة باللغة العربية والتي تحتوي مضمونا فكريا وثقافيا ومعلوماتيا موجها للمواطن العربي وفق الرؤية والنظرة الإيرانية.

ولم تكتف إيران بذلك بل إنها أوعزت أيضا إلى الأحزاب الشيعية في بعض البلدان العربية وخاصة العراق لكي تبث قنوات فضائية تعبر عنها لنشر أفكارها التي تصب في نفس الاتجاه الذي تريده إيران.

والحقيقة أن إيران نجحت إلى حد كبير في خطتها حيث تمكنت من استقطاب قطاع عريض من المشاهدين العرب الذين وجدوا في بعض القنوات الشيعية ما لم يجدوه في غيرها من القنوات العربية التي وبكل أسف التزمت في شكلها ومضمونها وحتى سنوات قريبة بالتقاليد الغربية للإعلام فحرمت المشاهد العربي من وجود وسائل إعلامية تتوافق مع ثقافته ورؤاه إذ كان يصعب مثلا أن تشاهد مذيعة محجبة في إحدى هذه القنوات العربية.

وكان هذا النهج بمثابة دس السم في العسل حيث كانت هذه القنوات بشكلها المقبول إسلاميا أداة للنفاذ والاختراق وإثارة القضايا الكلامية والعقائدية لإفساد عقائد أهل السنة فضلا عن الترويج والدعاية للمواقف السياسية الشيعية ما كان له نتائجه السيئة بعد أن ساهمت هذه القنوات في نشر التشيع في عدد من البلدان السنية ومن ذلك مثلا المملكة المغربية.

كما كان لهذه القنوات أثرها في تبني العديدين لنفس الرؤى السياسية الإيرانية فاتسعت دائرة المدافعين عن القيادة الإيرانية بعد أن أشاعت أنها النموذج المانع الأفضل للإمبريالية الغربية وبعد أن أوهمت الجميع

بأنها الحصن الحصين المدافع عن المقدسات الإسلامية وخاصة المسجد الأقصى الذي يرزح تحت نير الاحتلال الصهيوني منذ عقود.

وقد أحسنت الدولة الإيرانية استغلالها لأزمتها مع الغرب بشأن برنامجها النووي فضخمت إعلاميا تدهور علاقاتها بالغرب وأنها مستهدفة كونها تقف بالمرصاد ضد الهيمنة الغربية وهو ما لمس أوتار مشاعر العرب السنة الذين يطمحون إلى قوة تقودهم لتحقيق الاستقلال خاصة وأن القوى السنية في غيبة تامة عن تحقيق مثل هذه المواجهة غير أن هذه القنوات تناست أو ربما تجاهلت ازدواجية السلوك السياسي لإيران في التعامل مع قضايا العرب والمسلمين ففي الوقت الذي تزعم ما تزعمه من أنها القوة المانعة إلا أنها تتحالف مع أمريكا في غزو العراق وأفغانستان، وفي الوقت ذاته تواصل احتلالها للجزر الإماراتية وتدعي حقها في البحرين وتثير القلاقل في اليمن وتدعم الرئيس السوري بشار الأسد في قتل وذبح أبناء الشعب السوري وتدعم الميليشيات الشيعية في العراق وغير ذلك الكثير وهو ما يعني أن هذه القنوات تقوم بدور التزييف للحقائق واللعب بالعقول.

ومن بين أساليب الحرب الناعمة التي لم تتردد إيران في استخدامها هو استغلال تفوقها في مجالي السينما والدراما في الوقت الذي يشهد فيه هذان المجالان تراجعا شديدا في البلدان العربية بعدما أصبح تحقيق المكسب المادي السريع هو المحرك الأساسي للقائمين عليه ما كان سببا في إنتاج ضعيف للغاية لا يهتم لا بالمضمون ولا بالشكل وهو ما أوجد حالة من إحجام المواطن العربي عن متابعة ما ينتج عربيا والبحث عن منتج آخر أكثر جودة.

ويفسر ذلك انتشار ظاهرة دبلجة المسلسلات المكسيكية ومن بعدها التركية وأخيرا المسلسلات الإيرانية التي وجدت قبولا ليس بالمستغرب في ظل ما ذكرناه لدى المشاهد العربي الذي ملّ من سذاجة وتهافت المنتج العربي.

وبالطبع ليس من المنطق أن يكون جلّ انتقادنا وإبداء تخوفاتنا من دبلجة المسلسلات الإيرانية، بل إن الموضوعية تقتضي أن نحذر ونعرب عن هواجسنا من نقل ثقافة الآخرين دون رقابة حقيقية وجادة على ما ينقل خاصة إذا كانت هذه الثقافات وما تتضمنه من أفكار وقيم مخالفا ومتعارضا مع القيم الإسلامية الثابتة الأمر الذي يهدد الأمن المجتمعي العربي ويحقق من حيث لا ندري حالة من الضعف والتفكك داخل هذه المجتمعات.

فالواجب يدفعنا ويدفع كل المخلصين للتحذير من هذه النوعية من الأفلام والمسلسلات (الأجنبية - التركية - والإيرانية) على السواء والتي يتم دبلجتها باللغة العربية أو بلهجات بعض البلدان العربية لتقديمها سهلة ميسرة للمشاهد العربي، وقد احتوت ما احتوت عليه من كوارث أخلاقية وسقطات فكرية يتشربها المشاهد وخاصة الشباب والأطفال بلا وعي ليكون المحظور مباحا أو على الأقل يقابل بما لا يليق به من الاستياء والاستهجان والرفض.

والخطورة التي تمثلها الأعمال الفنية الإيرانية لم تعد أمرا خافيا على المواطن العربي خاصة وأن الكثيرين قُدر لهم أن يطلعوا على بعض هذه الأعمال وما تخللتها من إشكاليات تتعلق بالطائفية ونشر أفكار التشيع عبر موضوعات وقصص ترتبط بالأنبياء عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام أو ببعض الصحابة رضوان الله عليهم.

ولا يقلل من خطورة هذا قول القائلين بأن مثل هذه الأفكار الشيعية احتلت مساحة صغيرة داخل هذه الأعمال وهو قول مردود عليه إذ أن هذا النهج هو عين الحرب الناعمة التي لا تستهدف إحداث صدمة قوية، ما يوجِد حالة من رد الفعل القوي لمواجهتها وإنما ما يراد هو الاختراق البطيء الذي يتحسس خطواته فلا يثير رد فعل يصعب من المهمة بل ويعقدها.

كما أن من الواضح أن الخطة الإيرانية تستهدف الأجيال الشابة التي بدا أن حالة الانبطاح التي تعيشها أغلبية البلدان السنية فضلا عن حالة الحراك السياسي التي تشهدها بلدانهم جعلتهم يتطلعون لنماذج أكثر راديكالية ومن ثم فإن إيران تقدم نفسها باعتبارها هذا النموذج، فهي التي تدعم الأحزاب والجماعات المنتفضة ضد الفساد والاستبداد، وهي التي تقف ضد أمريكا

وأوروبا، وهي التي تتحدث عن نهاية الكيان الصهيوني وتحرير المسجد الأقصى، وهي التي تحاول أن تقدم فنا راقيا يعكس القيم والأخلاقيات الإسلامية والذي استطاع نظرا لتقنيته العالية وإخراجه المتميز أن يكون منافسا قويا لصناعة السينما في الولايات المتحدة الأمريكية ذاتها.

لم يكن إذن من السهل أن تحجب المشاهد العربي عن متابعة ما تقدمه إيران من أعمال سينمائية أو درامية فهو الشر الذي أصبح مفروضا على المشاهد العربي وهو ما جعل إيران تتمسك بالمسألة تمسكا شديدا للغاية حتى اعتبرت أن التعاون الفني بينها وبين بعض البلدان العربية أقصى طموحاتها وهو ما يفسر الزيارات الأخيرة التي قامت بها وفود فنية عربية خاصة من مصر لزيارة إيران وبحث سبل التعاون بين البلدين بالتزامن مع الضجة السياسية والإعلامية التي أثيرت مؤخرا حول قضية فتح الباب للسائحين الإيرانيين في مصر ومدى ما يمثل هذا من خطورة على مصر وهو ما يؤكد أن إيران غير آبهة بما يحدث، فهي عازمة على الاستمرار في طريقها وطرق أبواب كل أساليب الحرب الناعمة بل والسير في كل الطرق في خطوط متوازية لا يشغلها أن تفشل أو تتعثر في أحدها، المهم أن تحقق ما تريد.

وبالطبع لم تكن إيران لتنجح وتخطو خطوات ثابتة في ذلك لولا أنها تلقى دعما ومساعدة من أطراف سياسية وفكرية استغفل بعضها واستدرج لأن يكون مجرد أدوات مساعدة لتحقيق الطموح الإيراني التوسعي فيما كان يتحرك البعض الآخر عن وعي وإدراك بحقيقة ما يتم وقد وقعوا في براثن الإيمان بهذا المشروع.

فما تشهده بلدان الربيع العربي في المرحلة الحالية من محاولات للانقلاب على السياسات السابقة الخاصة بقيادات هذه البلدان هو الفرصة السانحة أمام طهران إذ هي واحدة من القوى المستفيدة حيث كان الموقف المصري مثلا زمن المخلوع حسني مبارك من طهران موقفا غير منسجم مع تطوير علاقات البلدين وهو ما كان مرضيا لقطاعات شعبية في حين رفضته أخرى كونه ليس نابعا من منطلق المصلحة المصرية العليا بقدر ما كان استرضاء للولايات المتحدة في إطار سياسات التبعية التي كانت تعيشها القاهرة في عهد مبارك ومن ثم فقد حرصت وما زالت بعض القوى السياسية على أن تغير من نهج التعاطي مع الدولة الإيرانية بما يعمل على التقريب بين البلدين وهو نهج بالحسابات السياسية صحيح مائة في المائة إذا كان قائما على أسس تبادل المصلحة المادية وأن يعمل كل بلد على حماية نفسه ضد محاولات أي طرف من الأطراف يسعى لإحداث تغييرات تضر بصالح البلاد والمواطنين. ومن ثم فإن مثل هذه الملفات يفترض أن توكل إلى من هم حريصون ولا أقول متطرفون في الحرص على المصالح العليا للبلاد وأن لا يترك لمن يعرف عنه تساهله أو ميله بعيدا عن هذه المصالح وهو ما يدفعنا إلى إبداء التساؤل بل والاستنكار عن قيام وفد صوفي مصري بقيادة المستشار محمد الدمرداش العقالي – الشيعي - مستشار وزير الإعلام بزيارة إلى طهران والذي كان من بين ما ناقشه هو موضوع «دبلجة» المسلسلات والأفلام الإيرانية باللهجة المصرية وعرضها على شاشات التلفزيون المصري دون وضع أية اعتبارات أو معايير تراعي مصالح المصريين.

وهنا يجب أن نشير إلى أن الحديث الذي طالما تطرق إلى فكرة التقريب بين السنة والشيعة أو بين البلدان العربية وإيران ركز وباستمرار على قبول المسلمين السنة بما هو عليه الشيعة أو أن يرحب العرب السنة بالنهج السياسي لإيران وأن يقبلوا بكل ما تتحدث فيه وعنه دون نقاش أو انتقاد حتى لو كان كل ذلك على حساب المصالح العربية أو على حساب المسلمين السنة بمعنى أن السنة يجب أن يقبلوا بالمشروع الطائفي في العراق، وأن يقبل السنة في لبنان بمشروع بقاء حزب الله دولة مع الدولة، وأن يقبل العرب باحتلال الجزر الإماراتية وأن يقبلوا بفكرة أن البحرين المحافظة رقم ٢٨ لإيران، وأن يقبلوا بالتدخلات الإيرانية في المملكة العربية السعودية واليمن وغيرهما.

إذا كان هؤلاء موضوعيين فعلا في ما يدعون إلى تحقيقه من تقارب فإن الأصل أن يتم طرح كل الأوراق للنقاش وأن يكون الحديث بمنتهى الشفافية والإنصاف وأن ترفع إيران يديها عن التدخل في الشئون العربية وشئون المسلمين السنة وأن تتوقف عن تكرار

تاريخ الدول الشيعية التي كانت لا تعدو عن كونها شوكة في حلوق الدول السنية حيث كان توسعها دائما على حساب أهل السنة وما ذكر لنا التاريخ أبدا أن دولة شيعية قامت بعمل توسعات أو فتوحات إسلامية تجاه بلدان غير إسلامية. وفي الدولتين الصفوية التي دخلت في حروب متعددة مع الدولة العثمانية ومن قبلها الدولة الفاطمية التي دخلت في حروب مع الدولة العباسية دليلان يؤكدان على ذلك.

ولا يمكننا أن نتغاضى في هذا السياق عن نقطة طالما أثارت الكثير من الجدل ترتبط بمدى خطورة الأعمال الفنية الإيرانية التي تحاول كما أشرنا أن تحدث حالة اختراق للذهنية السنية وتقفز فوق الكثير من المحرمات التي يجب أن لا يتم الاقتراب منها وفق منهج السنة الذين تفرض عليهم عقيدتهم إبداء الإجلال والتوقير لأنبياء الله تعالى عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام وتبدي أيضا توقيرا شديدا لصحابة الرسول ﷺ وهو ما ارتبط بقضية تجسيد الأنبياء والمبشرين بالجنة والخلفاء الراشدين.

ويستفزنا في هذا المقام تلك التصريحات التي أدلى بها الطاهر الهاشمي الأمين العام للطريقة الهاشمية وعضو الوفد الصوفي الذي زار طهران حيث أكد أن القصص القرآني بتجسيد حياة الأنبياء والرسل يؤكد جواز العرض التجسيدي لهم في التمثيل الدرامي مضيفا أن الوصف الإلهي لما حدث لنبي الله يوسف عليه السلام من حوار ونقاش بينه وبين أخوته وبين أخوته وأبيهم ومسيرته إلى مصر هو جانب تجسيدي يجعل تصويره دراميا مقبولا وجائزا.

ولا أعرف على أي أساس استند الهاشمي في فتواه بجواز هذا التجسيد على الرغم من أن رأي الأغلبية من علماء السنة إن لم يكن جلهم هو القول بمنع وتحريم هذا التجسيد إذ ووفق العشرات من الفتاوى الصادرة عن علماء لأهل السنة فإن مثل هذا التجسيد يعد فعلا محرما لا يجب الاقتراب منه.

ومن ذلك ما أصدره الشيخ محمد بن عبد الله الإمام الذي قال إن من المعلوم بالضرورة من دين الإسلام أن الله فضل الأنبياء والرسل على سائر عباده المؤمنين وأوليائه المقربين بالبعثة والرسالة إلى أقوامهم وأيدهم بالمعجزات وعصمهم من الكبائر والمنكرات وجعل المساس بهم بأي أذى أعظم من المساس بأتباعهم وخلفائهم قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾﴾ [الأحزاب: ٥٧]

فحكم سبحانه على مؤذي رسولنا باللعن في الدنيا والآخرة، وتوعده بالعذاب المهين والجزاء من جنس العمل، فإن المؤذي لنبينا مستهين به ومستخف به، فكان العذاب المهين جزاء هذا العمل وهكذا الحكم في سائر الأنبياء والرسل لأن حرمتهم مثل حرمة نبينا.

وقال الرسول ﷺ: «إن كذباً عليّ ليس ككذب على أحد، فمن كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار» رواه البخاري ومسلم، وهكذا من كذب على سائر الأنبياء والرسل.

ألا وإن من المؤاذاة للأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام تمثيلهم، لأن التمثيل لهم ينافي تعظيمهم وتوقيرهم وإجلالهم، قال الله: ﴿لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾﴾ [الفتح: ٩] وهكذا يجب تعظيم سائر الأنبياء، فإن تعظيمهم من تعظيم الله، وحقهم تابع لحق الله، وتمثيل الأنبياء ظهر في عصرنا على أيدي شرذمة من اليهود والنصارى، ومعلوم أن اليهود والنصارى قد أساؤوا إلى أنبياء الله ورسله بإساءات كثيرة، قديماً وحديثاً، إساءات اليهود أكثر وأقدم وأمكن، وحصل مؤخراً أن تلقف تمثيل الأنبياء والرسل شذاذ من المنتسبين إلى الإسلام فحاولوا القيام بذلك، فما أن علم أهل العلم بهذا إلا وقاموا بما أوجب الله عليهم من بيان الحكم الشرعي على التمثيل المذكور، ومن ذلك:

أنه لما تم توقيع عقد بين الشركة العربية للإنتاج السينمائي العالمي وممثلي بعض الحكومات العربية على إخراج فيلم بعنوان (محمد رسول الله) تصدى لذلك هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية، فأصدروا قراراً بتحريم إظهار هذا الفيلم، مع بيان بعض المفاسد في ذلك، كما أفتت بحرمة هذا العمل اللجنة

الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.

وقبل فتوى هيئة كبار العلماء واللجنة الدائمة أفتى مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة بعدم جواز ذلك، كما قام المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بتحريم العمل المذكور، وصدر أيضاً قرار من المنظمات العالمية الإسلامية يستنكر استنكاراً شديداً محاولة إخراج هذا الفيلم.

فهذا إجماع من علماء المسلمين على تحريم تمثيل رسولنا عليه الصلاة والسلام، وهو شامل لتحريم تمثيل الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، فإن وُجد من يخالف هذا فلا عبرة بقوله، ولا مجال لقبوله.

وكل من ذكرنا فتواهم وقراراتهم آنفاً ينصّون فيها على تحريم تمثيل الصحابة، وبعضهم يزيد قرابة الأنبياء والرسل، فيكون تمثيل الصحابة وآل بيت النبوة أمراً مجمعاً على تحريمه، فليُعلم هذا.

ومبنى هذا التحريم على ما عُلم من المفاسد في التمثيل المذكور، فإنه يشتمل على مفاسد كثيرة ومنها:

❖ المخالفة لحكمة الله في منع شياطين الجن من التمثل بالرسول عليه الصلاة والسلام، فقد جاء في الحديث المتواتر أن الرسول ﷺ قال: «من رآني في المنام فقد رآني، فإن الشيطان لا يتمثل بي» فالحكمة في هذا المنع صيانة شخصية رسولنا عليه الصلاة والسلام من أن تكون محل عبث ولعب وغير ذلك. فالممثلون له منتهكون لهذه الحكمة العظيمة.

❖ أن التمثيل للأنبياء والرسل كذب عليهم في شخصياتهم وأفعالهم وأقوالهم، لأن الممثل تقمص شخصية النبي الكريم، وقام بحركات قولية وفعلية زاعماً أنها حركات للنبي المُمَثل به وهذا كذب لأن الشخصية والحركات هي للممثل، وإذا كان الرسول ﷺ قد نهى عن محاكاة الشخص (وهي الفعل مثل فعله والقول مثل قوله) كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده وغيره عن عائشة رضي الله عنها قالت: ذهبت أحكي امرأة أو رجلاً عند رسول الله ﷺ. فقال: (ما أحب أني حكيت أحداً وأن لي كذا وكذا أعظم ذلك).

فكيف بمن يتقمص شخصية النبي بحيث يرى المشاهدون أن هذا هو النبي الفلاني، ألا ساء ما يفعلون!!

❖ ومنها أن التمثيل هذا فيه تنقص للأنبياء والرسل واستخفاف بهم، حيث يظهرهم الممثلون بمظاهر لا تليق بهم: من اختلاطهم بالنساء غير المحارم وسيرهم على عادات وتقاليد الناس في الزواج غير ذلك كما ظهر ذلك جلياً في مسلسل (يوسف الصديق) في قناة الكوثر الإيرانية.

فلما كان التمثيل مشتملاً على الاستخفاف والتنقّص للأنبياء والرسل لم يكن صادراً إلا من كفار، أو ممن يتشبه بهم، ويقلدهم من منافقي المسلمين وسقطهم، فكيف لو كان هؤلاء السقط أجراء لجهات حاقدة على الأنبياء والرسل كالماسونية وغيرها! وكيف إذا كانوا متاجرين بهذا التمثيل! أيتاجر بأنبياء الله ورسله؟!! قاتلهم الله أنى يؤفكون.

❖ ومنها أن التمثيل المذكور يفتح أبواباً من الطعن في الأنبياء عند بعض المشاهدين والسخرية منهم وبعضهم يتندر بهم على جهة الجد أو المزاح واللعب، وكل هذا منذر بشرٍّ عظيم، قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴿٦٦﴾ ﴾ [التوبة: ٦٥ – ٦٦].

فلم يعذر الله من وقع في شيء من الخوض في حق نبيه بطريق المزاح واللعب، فالممثلون لا يخرجون عن أن يكونوا في تمثيلهم للأنبياء والرسل ما بين جاد ولاعب، وهكذا بعض المشاهدين فليتنبه الممثلون والمشاهدون لعواقب فعلهم هذا.

❖ حصول الغلو في بعض الأنبياء والرسل، كتمثيل بعض الممثلين لعيسى بن مريم لغرض الغلو فيه بإظهاره بمظهر الربوبية، ومعلوم أن الإسلام حرم تصوير الأنبياء والصالحين حتى لا يُتخذوا آلهة يُعبدون من دون الله، إلى غير ذلك من المفاسد..!!

ومن المعلوم أن القاعدة الشرعية في التحريم عند أهل العلم أن الشريعة لم تحرم شيئاً إلا لما فيه من الضرر المحض، أو لما فيه من الضرر الغالب.

وقد بان بهذا الإيضاح عظيم الضرر والفساد في العقيدة والعبادة وفي الدين والدنيا بسبب هذا التمثيل.

ألا وليعلم المسلمون أن انتهاك حرمة الأنبياء والرسل انتهاك لحرمة أتباعهم وخلفائهم لأن المنتهك لحرمتهم يسهل عليه الطعن في أتباعهم بقوله: (أنتم تعظمون الأنبياء وتحذرون من المساس بهم وتتبعونهم وفيهم وفيهم من أمور التنقص والعيب) فعلى الأمة الإسلامية كافة أن تقوم بواجبها الشرعي في الذب عن الأنبياء والمحافظة على مكانتهم والوقوف ضد من يتعرض لهم بشيء من الإيذاء خصوصاً في هذا العصر الذي ظهر فيه الإلحاد واستطار شره في عالم المسلمين، وانتشاره في بعض وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة وغيرها، فإن تساهل الأمة فيما ذكرنا يسبب ازدياد القدح والطعن فيهم، وليس للأمة أن تتنازل عن موطن الدفاع عن جميع الأنبياء والمرسلين، كلٌ حسب قدرته واستطاعته.

وعلى حكام المسلمين الواجب الأكبر في الدفاع عن الأنبياء والرسل، وعن الصحابة والقرابة، وعليهم أن يحيوا الدفاع التي كان عليها ولاة الأمر من أسلافهم.

وعلى ما سبق بيانه في ذكر مفاسد تمثيل الأنبياء والرسل، وذكر إجماع أهل العلم على تحريمه يتحتم على المسلمين سد أبواب الذرائع الموصلة إلى الإعانة للممثلين والقبول لتمثيلهم، أو السكوت عنهم، فما هو حاصل الآن في قناة الكوثر الإيرانية من عرض تمثيل النبيين يوسف ويعقوب عليهما السلام وتمثيل جبريل عليه السلام أمر لا يقرّه شرع ولا عقل. فالواجب على المسلمين منابذة هذه القنوات والتحذير منها ودعوة القائمين عليها إلى التوبة إلى الله، بإلغاء هذه الأفلام وما كان على شاكلتها من أفلام تمثيل الصحابة وغيرهم.

وسائل الشيعة في تحقيق مشروعهم

د. أيمن هاروش(❖) – خاص بالراصد

فإن الدول التي تقوم على عقيدة دينية، والتي تسمى بالمصطلح السياسي (ثيروقراطية)، تكون دولاً ذات مشروع توسعي عقائدي، وتصبغ جوانب حياتها بصبغتها العقيدية، وتجعل عقيدتها منطلقا وحكما في كل علاقاتها مع الدول الأخرى، وقريبا منها الدول العقائدية وإن لم تكن دينية كالدول الشيوعية، وأزعم أنه اليوم لا يوجد في العالم سوى دولتين اثنتين ثيروقراطيتين، تبنيان أسسهما على عقيدة دينية، وهي محور تحركاتهما، وهما إسرائيل وإيران.

ولذا فإن إيران تحمل رسالة ومشروعاً، تريد من خلاله أن تحقق أكبر مد شيعي في العالم، ولكنها تعلم أن المد الشيعي يبدأ من حرب السنة والقضاء عليها، لأنها العائق والخطر الأكبر في طريقها، ولهذا نجد الشيعة عبر التاريخ ما حاربوا إلا أهل السنة، وكانوا عونا لكل من حارب السنة وقاتلهم.

جذور العداوة

بعد أن منّ الله تعالى على المسلمين بالفتوحات التي شملت الكثير من البلاد، وامتد سلطان الإسلام عليها، لكن كان من أهل تلك البلاد وتحديدا فارس من قد دخل الإسلام بغير قناعة، ونظروا لأنفسهم على أنهم وقعوا تحت احتلال العرب، وهم أعلى شأنا وشرفا من العرب، فامتلأت قلوبهم غيظا وحقدا على الإسلام والمسلمين، فبدؤوا يكيدون له ولكن من الداخل، أي بالتظاهر بالإسلام مع الكيد له، فنشأت الشعوبية، وهي حركة تنتمي لشعب معين وليس للإسلام، وتريد القضاء على الحكم الإسلامي، وترى نفسها خيرا من العرب، وبداية نشأتها في بلاد فارس ثم امتدت إلى غيرها[1].

ومن البديهي أن الحركة التي تريد القضاء على الحكم تذهب إلى صفوف المعارضة وتتبنى أطروحاتها لتتقوى بها على تقويض سلطان الحكم، وكانت المعارضة آنذاك تتمثل في تيار يزعم حب ونصرة آل البيت رضي الله عنهم، حيث كانت حركاتهم ضد الأمويين والعباسيين، فدخلوا معهم وتستروا بهم وأظهروا الولاء لهم، وبقيت الشعوبية إلى مرحلة الغيبة الكبرى، ويمكن أن يلاحظ أنه في هذه المرحلة كانت الشعوبية عبارة عن قوة تتستر بمناصرة آل البيت، ولم تتبلور لها عقائد

(❖) كاتب سوري.

(١) من مقال (أصول الشيعة) للدكتور راغب السرجاني على موقع قصة الإسلام.

واضحة، إلا بعض الأفكار كإنكارهم خلافة الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وسبهما، ولذا رفضوا إمامة زيد بن علي لأنه يقول بخلافتهما ويترضى عنهما، وكقولهم بولاية الابن الأكبر للإمام، ولهذا وقع الخلاف حول إسماعيل بن جعفر، وهذه الفكرة مأخوذة من الفارسية بوراثة الابن الأكبر للملك الحكمَ عن أبيه ومثلها قضية العصمة، لأن الفُرس كانت تؤله الحاكم، ويبدو لي أنها كانت عقائد مستورة أو لم تأخذ شكل المذهب الواضح كما صارت فيما بعد.

لكن بعد زمن الغيبة وهو ما يسمى بفترة الحيرة، لحيرة الشعوبية في الجانب الفكري الذي تبني عليه سيرها السياسي، فقد اختفى الإمام حسب زعمهم، فما مصير الإمامة، وانقسموا هنا فرقا كثيرة، وظهرت عقائدهم متبلورة بيّنة وصارت كأنها دين مستقل، ولعلي أخص بالذكر ثلاث فرق لأنها التي كانت حاضرة بقوة في التاريخ:

١- **الإمامية الاثنا عشرية**: وهم الذين قالوا بإمامة اثني عشر إماما، أولهم علي ثم الحسن بن علي ثم الحسين بن علي ثم أبناؤه علي بن الحسين (زين العابدين) ثم محمد بن علي (الباقر) ثم جعفر بن محمد (الصادق) ثم موسى بن جعفر (الكاظم) ثم علي بن موسى (الرضا) ثم محمد بن علي (الجواد) ثم محمد بن علي (الهادي) ثم الحسن بن محمد (العسكري) ثم محمد بن الحسن (المهدي المنتظر).

٢- **الإمامية الإسماعيلية**: والذين ساروا مع الاثني عشرية إلى جعفر الصادق لكنهم قالوا بأن الإمامة بعده لابنه إسماعيل وليس لموسى، لأن إسماعيل هو الابن الأكبر لجعفر الصادق، لكنه مات في حياة أبيه، فانتقلت الإمامة لأبنائه بعد جدهم جعفر، أما الاثنا عشرية فيرون أنها انتقلت لأخيه موسى الكاظم، حسب عقيدة البداء عندهم.

٣- **النصيرية**: وساروا مع الاثني عشرية إلى المهدي المنتظر لكنهم زعموا أن بين الأئمة وبين الناس باباً وأن محمد بن نصير هو الباب، فالبابوية والمرجعية انتقلت إليه وهو وارث علم الإمام، وغلا ابن نصير في الأئمة ونسبهم للألوهية، فرفضته الاثناعشرية وخلفه في دعوته محمد بن جندب ثم محمد بن عبد الله الجنبلاني الفارسي ثم حسن بن علي الخصيبي المصري والذي استقر في سوريا واستقرت الدعوة هناك في جبال اللاذقية[1].

هذه الفرق الثلاث السابقة كان لها دو بارز في حرب أهل السنة وقتالهم، واتخذوا لذلك أساليب متعددة، هي محور الحديث.

السيطرة على الحكم وإقامة دول لهم:

هذه هي الوسيلة الأولى والأهم والأخطر للشيعة لكي يحققوا مشروعهم، وقد حاول أصحاب الفرق الثلاث أن يؤسسوا حكومات تدين بمذاهبهم بل بأديانهم فسارع ميمون القداح وهو يهودي حاقد تستر بالإسلام وسمى أولاده بأسماء آل البيت وادعى أنه من أولاد إسماعيل بن جعفر الصادق، ونشط بدعوته في سلمية بسوريا ثم هرب أحد أولاده إلى المغرب وشكل أتباعه له شوكة فاستولى على المغرب وأسس هناك الدولة الفاطمية التي استولت على مصر والشام والحجاز.

ورحل آخر من أنصار دعوة ميمون إلى العراق والتقى بحسين الأهوازي وحمدان بن قرمط وأسسوا دولة القرامطة بالبحرين (المنطقة الشرقية من السعودية الآن) التي أذاقت أهل السنة الويلات فقطعوا الطريق على الحجيج ونهبوهم واستباحوا مكة وقتلوا الحجيج فيها وسرقوا الحجر الأسود وبقي في عاصمتهم هجر مدة ٢٢ سنة.

أما الاثنا عشرية فقد كانت الدولة الصفوية في إيران تابعة لهم وهي التي قامت على القتل والإرهاب.

وأما النصيرية فلم تقم لهم دولة إلا في العصر الحديث في سوريا.

والقاسم المشترك في هذه الدول أنها مارست أبشع أنواع الاضطهاد لأهل السنة، فالفاطميون حاربوا علماء السنة وأجبروا الناس على التشيع ومنعوا خطباء السنة من صعود المنابر، والقضاة من المحاكم، أما الصفويون فقد هدم إسماعيل الصفوي مساجد السنة حتى قال السفير البرتغالي في الصين بيريس تومي وقد زار إيران الصفوية: إن الشاه إسماعيل يرمم كنائسنا ويدمر مساجد السنة وقتل الملايين من السنة، وأمر بلعن الصحابة وشتم الخلفاء على المنابر وأعدم مناوئيه السنة بعنف وأمر

(١) اقرا عنهم في الملل والنحل للشهرستاني، والفرق بين الفرق للبغدادي، وما كتبه ابن تيمية في فتاواه عنهم، وانظر بحث (ماذا تعرف عن النصيرية) في شبكة أنا المسلم.

بتدنيس المساجد السنية وهدمها[1]، وأما القرامطة فسبق بيان ما فعلوا وكل ما فعله الشيعة عبر التاريخ في كفة وإجرام النصيرية المعاصر في كفة ترجح على الأولى، فكل ما يتحدث به عن مجازر وإجرام لإسرائيل مع الفلسطينيين من عام ١٩٤٨ إلى الآن لا تساوي مجزرة حماة عام ١٩٨٢، بل من قتلهم نظام النصيرية في سوريا من الفلسطينيين في مجازر لبنان وغيرها أكثر ممن قتلتهم إسرائيل، فضلا عن السجل الحافل بالإجرام من عام ١٩٦٤ إلى اليوم، وجاءت الثورة السورية لتزيل القناع عن إجرامهم أمام من كان مغرورا بهم.

لذلك هم في كل آنٍ يريدون الوصول للحكم وبناء دولة لهم، ومن هنا نجد الاستماتة والتفاني في دفاع إيران وحزب اللات عن نظام بشار الأسد لأنهم لا يريدون التفريط بدولة تعادي السنة ولو كلّفهم ذلك دماءهم وأموالهم، وكذلك استماتة شيعة البحرين خاصة والخليج عامة في السعي للوصول إلى الحكم.

تولي المناصب

وهي الوسيلة الثانية فإذا لم تتحقق الأولى بإقامة دولة يلجؤون لتولي مناصب بالدولة، ولا يكاد يتحقق لهم هذا حتى يستعملوا نفوذهم في منصبهم لتقويض دولة الإسلام ودمارها، والتاريخ يشهد بذلك، فالمستعصم بالله العباسي عندما استوزر ابن العلقمي الرافضي لم يألُ ابن العلقمي جهدا في نخر عظم الدولة فقلل عدد الجيش من مائة ألف إلى عشرة آلاف جندي، وقلل رواتب وعطايا الجنود، ليضعف الدولة العباسية، واتصل بهولاكو زعيم التتار يغريه بغزو العراق حتى تم الأمر، يقول ابنُ كثير: «وكان الوزيرُ ابنُ العلقمي يجتهدُ في صرفِ الجيوش، وإسقاطِ اسمهم من الديوان، فكانت العساكرُ في آخر أيام المستنصر قريباً من مائةِ ألفِ مقاتل .. فلم يزلْ يجتهد في تقليلهم، إلى أن لم يبق سوى عشرة آلاف .... ثم كاتب التتارَ، وأطمعهم في أخذِ البلادِ، وسهل عليهم ذلك، وحكى لهم حقيقةَ الحالِ، وكشف لهم ضعفَ الرجالِ» ا.هـ[2].

ودخل هولاكو بغداد وقتل المستعصم ومئات من خيرة علماء وقضاة الدولة العباسية في حيلة خبيثة ولعينة من الرافضي الخبيث ابن العلقمي: «فقد نهى (ابن العلقمي) العامةَ عن قتالِهم وأوهم الخليفةَ وحاشيته أن ملكَ التتار يريدُ مصالحتهم، وأشار على الخليفةِ بالخروجِ إليهِ، والمثول بين يديهِ لتقع المصالحةُ على أن يكونَ نصفُ خراج العراق لهم، ونصفهُ للخليفةِ، فخرج الخليفةُ إليهِ في سبعمائةِ راكبٍ من القضاةِ والفقهاءِ والأمراءِ والأعيان .. فتم بهذهِ الحيلةِ قتلُ الخليفةِ ومن معهُ من قوادِ الأمةِ وطلائعها بدون أي جهدٍ من التتر، وقد أشار أولئك الملأُ من الرافضةِ وغيرهم مِنْ المنافقين على هولاكو أن لا يصالحَ الخليفةَ، وقال الوزيرُ ابنُ العلقمي: متى وقع الصلحُ على المناصفةِ لا يستمرُ هذا إلا عاماً أو عامين، ثم يعودُ الأمرُ إلى ما كان عليه قبل ذلك، وحسنوا له قتلَ الخليفةِ، ويقال إن الذي أشار بقتلهِ الوزيرُ ابنُ العلقمي، ونصيرُ الدين الطوسي، وكان نصيرُ عند هولاكو قد استصحبهُ في خدمته لما فتح قلاعَ الألموت، وانتزعها من أيدي الإسماعيليةِ»[3].

واستباح التتار بغداد، فقتلوا جميعَ من قدروا عليه من الرجال والنساءِ والولدان والمشايخ والكهول والشبان، ولم ينج منهم سوى أهل الذمةِ من اليهودِ والنصارى، ومن التجأ إليهم، وإلى دار الوزير ابن العلقمي الرافضي[4]، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد قتلوا من المسلمين ما يقالُ إنهُ بضعةُ عشر ألفِ ألفِ إنسان أو أكثر أو أقل[5]، ولم يُر في الإسلام ملحمةٌ مثلَ ملحمةِ التركِ الكفار المسمين بالتتر، وقتلوا الهاشميين، وسبوا نساءهم من العباسيين وغير العباسيين، فهل يكونُ موالياً لآل رسول اللهِ ﷺ من يسلطُ الكفارَ على قتلهم وسبيهم وعلى سائرِ المسلمين»[6].

ولقد اعتبر الخمينيُّ ابنَ العلقمي والنصيرَ الطوسي من عظماء الأمة الذين قدموا لها التضحيات والخدمات الجسام، يقول عليه من الله ما يستحق: « ويشعرُ الناسُ

---

(١) تحويل الصفويين لإيران من المذهب السني إلى المذهب الشيعي، ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

(٢) ابن كثير- البداية والنهاية: ١٣/٢٠١- ٢٠٢.

(٣) المرجع السابق، وانظر منهاج السنة: ٣/٣٨.

(٤) البداية والنهاية المرجع السابق.

(٥) يعني عشرات الملايين، فتأمل؟؟!!!!

(٦) منهاج السنة المرجع السابق.

(يعني شيعته) بالخسارةِ .. بفقدان الخواجةِ نصير الدينِ الطوسي وأضرابهِ ممن قدم خدماتٍ جليلة للإسلام»[1].

وعندما حاصر الصليبيون أنطاكيا بوابة الشام من الشمال مكثوا سبعة شهور محاصرين لها ولم يستطيعوا دخولها إلا عندما فتح لهم أحد كلابهم (وهو النصيري فيروز) الباب الذي كان يحرسه فدخلوا وعاثوا في البلاد فسادا ودمارا، وكذلك تيمور لنك التتري النصيري عندما جاء بلاد الشمال وساعده والي حلب - وكان نصيريا- فسمح له بعد اتصال به بدخولها، فدخلها تيمورلنك وذبح من أهلها ما يشيب له الرأس حتى قيل إنهم جعلوا من جماجم أهلها تلالا، ثم سار إلى دمشق واستباحها تسعة أيام يقتل شيوخها وأطفالها ويغتصب نساءها، حتى قُتل نصيري خطأ فأوقف القتل[2].

وكذلك الفرنسيون في العهد الحديث مما مكن لهم في سوريا خيانة النصيريين وتعاملهم معهم وقد كافؤوهم بقيام دولة علوية لهم لكنها زالت بعد الاستقلال بفضل رفض السوريين للتقسيم، والكتاب الذي قدمه بعض النصيريين ومنهم جد المقبور حافظ الأسد الذي يطالب فرنسا بعدم الجلاء عن سوريا والبقاء فيها حتى لا يمكن للسنة في سوريا، ما يزال محفوظا في أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية إلى اليوم، وما تزال خيانة الأسد شاهدة على عداوة هذه الملة للسنة عندما باع الجولان وسلمها لإسرائيل، وأعلن سقوطها قبل وقوعها بساعات يوم كان وزيرا للدفاع في حرب ١٩٦٧م، كما يفصل الجنرال خليل مصطفى صاحب كتاب (سقوط الجولان)، وكذلك تآمره في لبنان وعلى السنة ولا سيما االفلسطينيين، وكذلك ما فعلته حركة أمل في سنة لبنان، وأخيرا إيران المعاصرة التي مهدت وسهلت لغزو أفغانستان ولولا إيران لما استطاعت أمريكا دخول أفغانستان، وكذلك دورها في العراق لا ينسى.

لذلك فإن توليهم لأي منصب في الدنيا خطر عظيم، ويجب أن نفقه قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾ [آل عمران ١١٨]، وليس قوم يصدق عليهم هذا الوصف كما يصدق على الشيعة.

تنظيم أنفسهم

وإذا لم تتوفر لهم الوسيلتان السابقتان فسرعان ما يسعون إلى تنظيم صفوفهم في تكتل واحد، يشكل ثقلا في البلد الذي هم فيه ليفرض صوته ورأيه، وليلعب بأوراق البلد بالشكل الذي يخدم مصالحهم وهذا ظهر واضحا بعد قيام الجمهورية الإيرانية حيث سارعت الشيعة في البلاد الأخرى إلى تنظيم نفسها وإعلان ولائها لنظام ولاية الفقيه في إيران فكان حزب الله في لبنان وحزب الدعوة في العراق وجمعية الوفاق البحرانية وحركة الحوثيين في اليمن الذين تحولوا من زيدية إلى اثني عشرية، ولا حاجة لها إلى حزب في سوريا لأن النظام تابع لها، وسعت لتفعل ذلك في السعودية لكن ظروف البلد لا تسمح إلا بأن تستقطب بعض شبابها وتقوم بتدريبهم عسكريا وإعدادهم لمرحلة قادمة حسب تخطيطهم.

وأخطر ما في هذه الكيانات السياسية أن لها أجنحة عسكرية مقاتلة كما في حزب الله وحزب الدعوة والحوثيين، وهو مؤشر خطير ينذر بتخطيط خبيث يسعى له الشيعة والواقع يشهد بذلك وما اجتياح بيروت من قبل حزب الله منذ سنوات، ومن قبله حركات ونشاطات حزب الدعوة العراقي إلا دليل على ذلك، ولعل اختيار الصعيد في مصر لأنه البيئة الأنسب لظهور هذه التكتلات السياسية العسكرية، فضلا عن كونه الأنسب لنشر الفكر الشيعي.

التقرب من الأنظمة

وإذا لم يكن لهم أتباع في البلد المستهدف فيتقربون من الأنظمة بثوب التقية حتى يضمنوا تسلل دعاتهم ومبشريهم لهذا البلد ويقوموا بتحويل من يستطيعون من أبنائه ليكونوا في المستقبل قوة منظمة ضاربة، ومن أجل هذه الغاية يعرضون تقديم الخدمات الكبيرة للبلد المستهدف من أموال ودعم عسكري وخبرات فنية صناعية وعلمية وفتح علاقات تجارية وسياحية كبيرة وغالبا ما تتخذ هذه الخطة مع البلاد التي تكون تحت الحاجة كحال مصر اليوم.

لكنها لا تقدم هذه الخدمات إلا بطريقة تحقق لهم مشروعهم وتخدم مصالحهم فهي ذات رسالة ومشروع،

---

(١) الحكومة الإسلامية للخميني ١٢٨.

(٢) موسوعة فرق الشيعة للشيخ ممدوح الحربي، وراجع الرابط السابق.

وكما نقل الدكتور عبدالله النفيسي عن مسؤول مصري رفيع المستوى أن وزير الخارجية الإيراني علي أكبر صالحي لما زار مصر عرض على الرئيس مرسي أن يقدموا لمصر ثلاثين مليون دولار مقابل فتح سفارة لهم في مصر وأنهم يضمنون لهم خمسة ملايين سائح إيراني سنويا يزورون مصر، ويقدمون له فنيين لصيانة المعامل المتعطلة مقابل أن يضعوا أيديهم على المساجد الفاطمية فيعيدوا ترميمها ويتسلموا إدارتها، وترسل لهم مصر كل سنة عشرين ألف طالب يدرسون في قم وتكون لهم جريدتان رسميتان في مصر، أي فتح الباب لكل سبل التسلسل الناعم لمفاصل التأثير في المجتمع المصري.

تقديم المغريات

والمغريات هذه وسيلة لاستمالة قلوب البسطاء والضعفاء وتتركز المغريات في ثلاثة أمور:

١- المال: وذلك بتقديم رواتب شهرية ومعونات مالية لكل من يتشيع كما كان حدث عندنا في سوريا، وكذلك رواتب لمن ينتسب لمعاهدهم فقد كانت كلية الشيعة التي افتتحت في إدلب في سوريا تقدم ستة آلاف ليرة سورية لكل طالب يدرس، وتقدم الحوزة في السيدة زينب أكثر من ذلك، فيلجأ لها الجهلة وعباد المال فبدلا من أن يكون الطالب مستهلكا وعبئا على أهله يصبح منتجا ومساعدا لأهله، وهذا أمر يعجب الكثير ممن يظنون الشيعة مذهبا خامسا، وأن الخلاف تاريخي كما يروج جهلة علماء السنة.

٢- النساء: وذلك عن طريق نشر زواج المتعة فقد كانت المناطق السياحية الشيعية في سوريا أماكن عهر بشكل علني، فقوافل السائحين الشيعة من لبنان وإيران وغيرها تأتي وبصحبتها شابات فاتنات ويتم الترويج للمتعة فيقع الشباب الضعيف في شركها وربما تشيع وغير دينه لذلك والعياذ بالله، بحجة أنه دين يقدم حلا لإشباع حاجة الشباب بالحلال ليس كالمذهب السني المتحجر كما يروجون ويشيعون.

٣- التقرب من السلطة: وذلك في البلاد التي تكون فيها الأنظمة موالية لهم كسوريا حيث يصبح الذي يتشيع مقربا من السلطة وتُحل أموره كلها في الدولة، بل كان القنصل الإيراني يأتي بنفسه لزيارة من يتشيع في بيته ولو كان شخصا فردا ويتفقد أحواله ويطمئن عليه ويقدم له المساعدات ويوصي به، كما رأيت ذلك بعيني في سوريا، وذات مرة أرسلت إيران إلى شيوخ العشائر في سوريا وأخذتهم برحلة سياحية إلى إيران وبعد جولة لعدة أيام في المعالم السياحية في إيران اجتمع بهم مسؤول إيراني وطلب منهم مساعدتهم في نشر التشيع في قبائلهم ووعدهم بأن كل أمورهم في سوريا عند السلطة ستكون ممتازة، هكذا حدثني أحد أعضاء وفد العشائر، ويستغلون انتماء بعض العشائر لآل البيت نسبا، كالبقارة والنعيم والبوسرايا، فيقولون لهم إنكم كنتم شيعة وحوّلكم النواصب للسنة فيجب أن تعودوا لأصلكم، والعجيب أن هذه السخافات تجد أذنا جاهلة فارغة تصدق.

أخيرا: التقرب منهم جريمة سياسية ودينية

هذه أهم الوسائل التي يتبعها الشيعة للسيطرة على العالم السني ونشر مذهبهم الخبيث، ليكتمل مشروعهم في هدم دول السنة والسيطرة عليها وإعادة الحجاز والشام ومصر والمغرب شيعية كما كانت في عهد الفاطميين.

لهذا فإن دعوى التقريب بينهم فضلا عن أنها جهل وحمق ممن ينادي بها، لأنها تشعر بأنه لا يعرف شيئا عن دينهم وعقائدهم، أو يعرف ثم يصر على المناداة بها وعندها فهي خيانة، وفضلا عن ذلك فإن التقارب منهم جريمة دينية وسياسية، دينية لأنها تمييع للدين وترويج للشرك والضلال وتدليس على العوام بأنهم على شيء من الحق، وخلاف لمنهج القرآن في التبري ممن فرقوا دينهم وكانوا شيعا، وجريمة سياسية لأنها تقارب من دولة عدوة محتلة، فإذا كان التقارب مع إسرائيل جريمة لأنها تحتل بلادا عربية وتقتل من الفلسطينيين، فإيران أشد جرما لأنها تحتل بلادا عربية أكثر وتقتل وتذبح من السنة أكثر من إسرائيل أضعافا مضاعفة في الكم والكيف.

وهل يستطيع العلماء الذين يتصدرون الشاشات التلفزيونية ويسخرون ويتهجمون على السلفيين في مصر لمحاربة مشروع التقارب بين مصر وإيران، هل يستطيعون أن يقولوا بجواز التقارب مع إسرائيل وبناء علاقات سياسية معها؟ لئن قالوا: لا، فمع إيران يجب أن تكون لاؤهم أشد، وإن قالوا نعم فعندها قل حسبي الله ونعم الوكيل وكبّر عليهم أربعا، وقل: يا لَضيعة الإسلام على أيدي بعض دعاة حمله ونصرته.

من يغزو الآخر؛ إيران أم مصر؟!

د. مصطفى محمدي(*) – أستاذ جامعي إيراني

بالتعاون مع موقع سُني نيوز

أخذت الثلوج تذوب بين إيران ومصر شيئا فشيئا...

لا يعنيني إن كانت الحكومة المصرية أُجبرت على هذا القرار الذي اعتبره كثير من المصريين علقما مرّا بسبب دعم الأنظمة الغربية والعربية لفلول النظام السابق وإدارة الفتن في البلد، أم بسبب الضغوط الاقتصادية التي لم يتعاطف معها العالم العربي بل زاد الطين بلة بضرب حصار اقتصادي على مصر وسحب أرصدته منها...

ما يعنيني كمواطن إيراني أن الباب الذي ظللنا طوال أكثر من ثلاثة عقود من الزمن نطرقه آملين أن يفتح في وجوهنا أخذ في الفتح ولله الحمد والمنة...

كنت أتصور أن المؤسسات الدينية والجماعات الإسلامية التي انخدعت بعضها في فترات من تاريخها بالشعارات الإيرانية الرنانة ثم رزقت توبة نصوحا ستفرح بهذا القرار وتحاول أن تكفر عن ماضيها بسطور جديدة ترتب حروفها وكلماتها لتعود جملة التوحيد فعلية في إيران!

إيران والإخوان

تمنت إيران مثل غيرها من الأنظمة الديكتاتورية في المنطقة أن يموت جنين الثورة المصرية في رحم الشعب وأن تخسف الأرض جميع ثورات الربيع العربي، لكن الشعب أراد الحياة فاستجاب له القدر!..

لم تكن الصلات الإيرانية الإخوانية قد أكملت شهر العسل في بداية ثورة الخميني ١٩٧٩م وإذا بإيران تقلب ظهر المجن في وجه جماعة الإخوان باغتيال أبرز قياداتها في إيران – الشيخ ناصر سبحاني وأحمد مفتي زاده – والضرب على نشاطاتها بيد من حديد لكنها ظلت تحتفظ بصلات دبلوماسية مع الجماعة في الخارج لحاجتها الإعلامية والاستراتيجية في استغلال القضية الفلسطينية التي تمثل حماس رأس الحربة فيها، ولتتخذ حسن صلاتها مع الإخوان وغيرها من الجماعات والشخصيات الإسلامية قنطرة للوصول إلى المجتمعات السنية.

دخول إيران إلى العراق على دبابات أمريكية وإدارتها للمجازر الطائفية كانت القشة التي قصمت ظهر البعير وفجرت في وجهها الموقف الإخواني الرافض بكل قوة على لسان الشيخ يوسف القرضاوي، لكن ظل «حماس» التائه بين أهله بحاجة إلى تهدئة الموقف حفاظا على بعض المكتسبات السياسية والعسكرية، حتى انفجرت الثورة السورية بعد أن تبسمت تركيا في وجه حماس وانتصرت ثورة مصر فكان الطلاق الإخواني البائن لإيران..

لم تعد إيران إلى مصر من موطن اليد العليا وإنما اليد السفلى، ولم تأت بها إلا الحاجة!

فالخطر على إيران من مصر وليس العكس كما يتوهم بعض الناس!

الغزو الشيعي

تتم إدارة التبشير بالتشيع الصفوي من خلال المؤسسة المذهبية والمؤسسة السياسية؛ تخوض المؤسسة السياسية أو النظام هذا الميدان تحت لافتة «تصدير الثورة» ويهدف إلى صناعة عملاء وأجندة عسكرية لأهداف سياسية بحتة ليس المذهب فيها إلا أداة تخدم الهدف.

تدعم المؤسسة الإعلامية الضخمة التي تدير قنوات فضائية عملاقة والإذاعات والجرائد والمجلات والمطبوعات التبشير السياسي للتشيع الصفوي بشكل قوي، وتستغل العمل الإغاثي والإنساني للوصول إلى مآربها. التشيع الحكومي يركز على الشعوب المضطهدة والبيئات الفقيرة التي يكثر فيها الجهل والأمية. كما أنه يحاول أن يشتري بسخاء كبير ذمم أصحاب الأقلام والإعلاميين والسياسيين وأصحاب النفوذ في المجتمع المدني من الذين يتصفون بقلة الالتزام الأخلاقي وممن ليست لهم جذور دينية عميقة.

كما أنها تقيم صلات ضعيفة تتراوح بين المجاملات والوعود والشعارات مع الأحزاب والجماعات الإسلامية والحركات العلمانية، وتسعى لتوظيفها في الميدان السياسي. (الصلات الإيرانية بالجماعات التكفيرية والجهادية في دول المغرب العربي قبل عقدين من الزمن، وصلاتها الخفية ببعض المنظمات الجهادية في أفغانستان،

(*) كاتب إيراني.

وصلاتها برموز العلمنة في السعودية والخليج لم تعد خافية على أحد).

إن كان النظام الإيراني يتخذ المذهب الشيعي أداة لأهداف سياسية، فالمؤسسة المذهبية – أو المراجع – تنظر إليه كورقة اقتصادية.

يعتبر كل مرجع شيعي دولة مصغرة في النظام الحاكم ويتحرك في استغلالية تامة بما يملك من الرصيد الاقتصادي المهول، وهناك حرب صامتة شرسة بين النظام الحاكم والمرجعية المذهبية في تقسيم التركة – الخمس أو نذورات القبور – !

وقد استطاع آية الله الخامنئي بقوة الحرس الثوري القضاء على المراجع الذين لم يكونوا يهتفون له، واستطاع أن يحدث نوعا من الاستقرار المبطن بالغضب الثائر الذي يموج تحت الرماد، وسرعان ما يظهر للعيان أول ما تغيب شمس الخامنئي!

يحاول كل مرجع شيعي أن ينشر مذهبه في أي مجتمع إنساني يملك مالا. عيون المرجع الشيعي لا ترى في المذهب إلا «الخمس» الذي يختطفه الشيعي من عرق جبينه ليقدمه قربانا للمرجع!

تتفق المؤسسة السياسية والمذهبية على أن الأقليات الشيعية في العالم لابد وأن تعيش حالة من الذعر المبرمج والشعور بالخوف من المجتمع الكبير ليظهر بعده الإعلام الإيراني بوجه الناصح الأمين يدافع عن حقوقها فيحدث شرخ عميق في هويتها الوطنية وولاء الشيعة لبني قومهم وتتجه أموالهم قبل قلوبهم إلى إيران حيث القبلة الآمنة.

عم تبحث إيران في مصر؟

كان الاتفاق الإيراني الغربي أن تلعب إيران دور الذئب الذي يخوف به النعاج، فتصدر شعارات جوفاء كتصدير الثورة والقضاء على الخليج العربي في لمحة بصر أو أقل من ذلك، فيهرع العرب إلى الحضن الغربي ويبدأ الآخر في سلب ثرواتهم ومقدرات شعوبهم ومسخ حضارتهم. وقد كان!...

لكن إيران تدرك تماما أن الغرب لن يسمح لها بأن تكون دولة قوية لها سياستها، ويسعى لتفتيتها إلى دويلات إن لم يكن اليوم فغدا. فحاولت أن تجد لها كبش فداء ليوم الملحمة، إذا ما انتهت الصفقة بينها وبين الغرب. فكانت حرب «حزب الله» ضد إسرائيل حافظا للوحدة الوطنية الإيرانية وكانت سوريا الطريق والمأوى.

والآن وقد حان وقت أفول شمس بشار الأسد تسعى إيران لإحداث بديل آخر عن «حزب الله» في مصر. وجود حزب عسكري موال لإيران في مصر وشراء ذمم أفراد من السنة والمسيحيين وأصحاب القرار السياسي والإعلامي كفيلان بكسر الوحدة الوطنية وإرجاع مصر إلى دوامة لبنان. فمَن يحكم لبنان لا مناص له إلا التجاوب مع السياسات الإيرانية مهما كانت الظروف، فمفتاح الأمن اللبناني في إيران وليس في بيروت!..

لكن ينبغي ألا ننسى أن ما تطمح إليه إيران في مصر ليس أكثر من أحلام وآمال، وهي ليست وليدة اليوم، فمنذ ثلاثة عقود وإيران تسعى للحصول على هذه الأماني ولم تستطع إنجاز شيء منها يوم أن كان الشارع المصري يطرب بالشعارات الإيرانية الرنانة للدفاع عن فلسطين والوحدة الإسلامية، فماذا عساها أن تنجزه اليوم بعد أن انكشفت عورتها في الشارع المصري؟!

مصر في إيران

المجتمع الإيراني كحلفائه من الروس والصينيين يشبه الإناء الفارغ الذي مج الثقافة الموروثة وأوصلته ضغوط الديكتاتور الحاكم إلى حالة من الثورة على كل ممتلكاته الثقافية وتراثه الديني.

يعاني المجتمع الإيراني هروبا من الدين؛ لا يرتاد الحسينيات إلا عجائز لا تتحملهم البيوت، ولا يشارك في البكائيات والطقوس المذهبية إلا من يجر مرغما إليها بسلاسل القانون الحديدي من موظفي الدولة.

أصبح رجل الدين منبوذا يطرد من الأبواب وتهال عليه الشتائم والأحذية والبيض الفاسد من نوافذ البيوت!

لا تقف سيارات الأجرة لرجل عليه ملامح الدين إلا إذا أراد السائق المشاغب حمله من الظل ليتركه مهانا على الشمس!

يتحدث أصحاب الفكر في إيران عن هذه الظاهرة المرضية بالهروب من الدين، في حين أن كاتب هذه السطور يراه هروبا من المذهب ونتاجا طبيعيا وردة فعل على فرض المذهب بقوة السلاح على الشعب المقهور الناقم الذي يعيش ازدواجية في جميع معانيها ويسمع النفاق يصرخ به في خطابات رجالات المذهب والسياسة، ويرى بأم عينيه كيف تنهب ثروات البلد ومقدراته.

إذا كان هناك نسب ضئيلة من الشباب ضلت الطريق نحو المجوسية والشذوذ الفكري فالمجتمع الإيراني الملتزم بطبعه يشهد حركة واسعة النطاق للعودة إلى منهج أهل السنة بين رجال الدين والمثقفين – وبنسب أعلى بين الأقلية العربية – اشتدت مع العولمة الثقافية ولاسيما بعد ظهور المواقع والقنوات السنية باللغة الفارسية.

الصلات الإيرانية المصرية تفتح الأبواب على مصراعيها للمجتمع المدني الإصلاحي في مصر المتمثل في الأزهر الشريف والحركات والجماعات الإسلامية من جماعة التبليغ إلى السلفيين وإلى الإخوان المسلمين، أن ينزلوا ضيوفا كراما على إخوانهم السنة في إيران ويساهموا في إعادة المياه إلى مجاريها، فالصفوية ليست أصلا في هذا البلد، وإنما هي سحابة صيف لابد وأن تنجلي.

وهْم الغزو الشيعي:

استغربت كثيرا ممن يهين المصريين من خلال تضخيم الغزو الشيعي لمصر!..

ولا أريد أن أكون ممن يستهين بخطر عدوه فيقع فريسة سهلة في مخالبه، ولكنني أريد أن أقرأ الواقع بحنكة وموضوعية:

ثلاثة وثلاثون عاما والنظام الصفوي يحاول بكل ما أوتي من القوة والدهاء مع سنة إيران ولم يفلح حتى اليوم من تغيير دين واحد منهم، بل هناك الألوف من الشيعة عادوا إلى التوحيد!

منذ قرون ولإيران تواجد قوي في دول الخليج العربي؛ اقتصاديا وثقافيا ومذهبيا، وبما أن أكثرنا يعتقد بأن المستوى الثقافي للمواطن المصري أرفع من نظيره الخليجي وأن نسبة الجهل في هذه الدويلات أكبر بكثير من مصر، لم نسمع يوما أن إيران استطاعت أن تشيع أناسا في هذه الدول؟! وكذلك الحال في باكستان وأفغانستان وإندونيسيا وغيرها من الدول..

أجل!...

اشترت إيران ذمما ووظفتها لسياساتها.. ساهمت في إفساد أخلاق بعض التائهين بفتنة بنات المتعة.. لكنها لم تفلح في كسب شيعة لها، بل خسرت كثيرا من عقلاء الشيعة ومفكريهم في تلك الدول بما أدارت من الفتن والاغتيالات في صفوفهم!

ترتفع يوميا نسب من يعودون إلى التوحيد والرشد ويعتنقون الإسلام السني من الحجاج والمعتمرين الإيرانيين مع كل ما يتخذه النظام من المحاذير!

بل أكثر من ذلك تشكو المؤسسة المذهبية في قُم من ارتفاع نسب المهتدين في صفوف السياح الإيرانيين إلى تركيا وسوريا!

هل يليق بإخواننا في مصر أن يستقبلوا أهالينا من السياح بالأهرامات والفول والكركديه المصري ولا يقدموا لهم شرابا عذبا من التوحيد الصافي؟!

وختاما أدعو إخواني الدعاة في مصر بكل اتجاهاتهم الفكرية أن يضموا إيران إلى صدورهم ببث الدعوة فيها وإحداث قنوات فضائية ومواقع الكترونية باللغة الفارسية.

وأتساءل: لماذا مواقع المراجع الإيرانيين على الإنترنت تخرج مترجمة بعشرات اللغات منها العربية ومواقع دعاة السنة لا تخرج إلا بالعربية – هذا لمن كان له موقع!!..- .

لماذا تدير المؤسسة المذهبية في قم عددا من القنوات الفضائية بالعربية ولا يكون للأزهر الشريف قناة فارسية؟!

ولماذا تكتظ الجامعات المذهبية والعلمية في قم ومشهد بالطلاب العرب ولا تكاد تجد طالبا إيرانيا في الجامعات الإسلامية والعلمية في العالم العربي وعلى رأسها جامعة الأزهر الشريف؟!..

ودعوني أقول بملء في: لا خطر من إيران على العالم الإسلامي، وذلك لأن التشيع - على الأقل في وجهه الصفوي الإيراني- يكتظ بما يناطح العقل ويعارض الفطرة ولا يتماشى مع صريح القرآن الكريم، وإنما العالم الإسلامي فخطره من نفسه؛ حيث الجهل والفقر والاستبداد وضياع الشخصية وفقدان الهوية...

حزب الله: الوثيقة السياسية والثورة السورية

بوزيدي يحيى(*)

اعتقد حزب الله أن الثورات الشعبية التي بدأت من تونس ثم مصر وأسقطت نظامين خاضعين للولايات المتحدة، وبشكل خاص نظام حسني مبارك

(*) كاتب مصري.

(والمعروفة مواقفه من المقاومة) حلقة من حلقات تراجع المشروع الأمريكي وإخفاقه التاريخي في مقابل صعود محور المقاومة والممانعة، بل وحتى اختصار مسافات الصراع بينهما، كما نصت عليه الوثيقة السياسية الثانية للحزب التي صدرت قبل سنة من بداية الحركات الاحتجاجية الشعبية (نوفمبر ٢٠٠٩). واندفع الحزب وإيران وراء الذراع الشيعي البحريني في استغلال التحولات لتثبيت أتباعها في المملكة والتضييق على خاصرة الأمن القومي الخليجي، غير أن الثورة السورية خلطت الحسابات الأمريكية والإيرانية على حد سواء.

وإذا كان موضوع الانعكاسات الدولية والإقليمية شائك ومعقد تناولته الكثير من الدراسات التي ناقشت مستقبل النظام الإقليمي، فإن ما يعنينا في هذا المقام هو إلقاء مزيد من الضوء على وثيقة حزب الله السياسية الثانية، وما تضمّنته من أفكار انطلاقا من المستجدات على الساحة السورية وسلوكه نحوها. وأهمية مناقشة الوثيقة السياسية للحزب على هذا الأساس تكمن في أننا أمام أول اختبار عملي لما أعتبر تطورا في الفكر السياسي للحزب، لأن القراءات السابقة التي رأت في الوثيقة مجرد «خدعة تقيوية» من طرفه اتهمت بالتحامل عليه والعمالة، وغير ذلك مما هو مألوف في الأسطوانة المشروخة لطابور الولي الفقيه.

النهاية الأخلاقية

نصت الوثيقة على «أنّ معايير الاختلاف والنزاع والصراع في رؤية حزب الله ومنهجه إنما تقوم على أساس سياسي - أخلاقي بالدرجة الأولى، بين مستكبر ومستضعَف، وبين متسلط ومقهور، وبين متجبّر محتل وطالب حرية واستقلال». هذه الهالة الأخلاقية التي أحاط بها الحزب نفسه كمضحٍّ بالغالي والنفيس من أجل الأمة وآخر قلاعها وحصونها في وجه الهيمنة الغربية، والتي اغتر بها كثيرون، كانت أهم مصادر قوته، وقد استطاع من خلال الآلة الإعلامية الإيرانية وملاحقها العربية التعتيم على كل ممارساته الداخلية والخارجية المتناقضة، وتوظيفها لصالحه.

هذا الرصيد الأخلاقي الظاهري الذي كان يستثمر فيه الحزب خدمة للمشروع الإيراني بدأ بالتآكل سريعا مع الثورة السورية حيث وجد الحزب نفسه في مأزق التوفيق بين الرأي العام الشيعي والعربي في تبرير انخراطه إلى جانب النظام النصيري في سفك دماء الشعب السوري.

وأبرز تجليات هذا المأزق وعلامات الانهيار الأخلاقي الغياب القسري لأمينه العام حسن نصر الله فضلا عن مضمون خطابه، ففي المرحلة الأخيرة لوحظ غياب كبير لنصر الله، وهو الذي كثر خروجه الإعلامي في بدايات الثورة السورية، وعلى عكس ما يفترضه التحليل المنطقي من أن يصبح حضوره الإعلامي أكثر بحكم التطورات والمستجدات الميدانية وخطورتها إلا أنه آثر الصمت وأسند توضيح الانخراط العلني في معارك القصير وتواتر الأنباء عن وجود عشرات الآلاف من مقاتليه في جميع أرجاء سورية - وهو رقم تدلل عليه جنائز القتلى- لرجال الصف الثاني من القيادات.

وخطابه الأخير الذي صرح فيه بالدعم المباشر للنظام السوري مختلف كليا عن خطابه المعهود إذ اتسم بكونه خطابا دفاعيا أكثر منه هجوميا، فرغم أن الموضوع لم يكن يتعلق بمجرد صراع سياسي داخلي وإنما مرتبط بمسألة مصيرية لما يسمى بمحور الممانعة والمقاومة إلا أنه غابت عنه روح المبادرة، وهو أمر مختلف تماما عن خطاب نصر الله في معاركه ضد إسرائيل.

وبكل تأكيد فإنه بعد مرور سنتين لم يعد أي مجال لأكاذيب نصر الله التي حاول فيها تغطية الحقائق ونفي الوقائع ظناً منه أن الأمور ستحسم في وقت قصير كما كان يردد بشار الأسد يومها، حيث خرج نصر الله على وسائل الإعلام نافيا ما تقوم به قوات النظام من تدمير لمدينة حمص مثلا، حاصرا الأمور من خلال «مصادره هناك» في إطلاق نار بسيط فقط، كما أن جرائم النظام لم يعد مجديا أن تبرر بنظرية المؤامرة ولذلك فإن خروج نصر الله بشكل متكرر كما في السابق، الذي فاق قيادات النظام السوري نفسه سيكون حديثا فجا ينهي ما تبقى للحزب من شبه مصداقية في عقول بعض الحمقى والمغفلين.

وقد كان نصر الله يردد عبارة «أننا لا نخجل بقتلانا لأننا نعتبرهم شهداء» في محاولة نفيه تواجد مقاتلي الحزب في سورية، وحاول أن يؤكد ذلك بحديثه عن الجنائز التي تقام لشهدائه، ولكنه استمر في لعبة النفي

بتقليله عدد القتلى ووصف الأرقام المتداولة في الإعلام بالمبالغ فيها، وبغض النظر عن كل ذلك فإن الواقع يثبت أن الحزب في هذه المعركة لا يدير الحرب الإعلامية بنفس الصيغة التي كان يديرها خلال حربه مع إسرائيل، فغالبا ما تكون البيانات رد فعل على ما يكشفه الجيش الحر والإعلام من عمليات للحزب أو قتلى في المعارك، ينكرها الحزب في البداية ثم يعود ليؤكدها جزئيا، والتصريح بالدور القتالي لم يكن مباشرا وصريحا على غرار معاركه مع إسرائيل، إذ انتظر كل هذا الوقت ليقر بأن ما كان يجري بشكل غير علني أصبح يجري على العلن، وسبب التأخر في الإعلان هو إدراك ردة الفعل منها، بعدما انتزعت عنها كل الأغطية الأخلاقية، وحتى مجالس العزاء التي تقام تفرضها ضرورة الاعتبارات الداخلية لعلاقة الحزب بحاضنته الاجتماعية الشيعية.

وهو لا يصور معاركه وبطولاته في سورية، بل على العكس يحاول في سياق الحشد الطائفي لجمهوره أن يصور نفسه في موقع الضحية كما تشهد عليه التغطية لما جرى في بلدة الهرمل. وإعلامه يتحدث فقط عن إنجازات الجيش النظامي وليس بطولات حزب الله. وحتى المدافعين عن النظام ونصر الله عبر الفضائيات يجدون صعوبة كبيرة جدا في تبرير مواقف حزب الله والأسئلة المحرجة التي تطرح على غرار الدفاع عن مقام السيدة زينب.

كل هذا يبين إدراك الحزب لحقيقة وحجم الفارق بين الماضي والحاضر، ولا يستطيع أبدا أن يحتفي بما يتصوره من إنجازاته في سورية للرأي العام العربي كما كان يفعل سابقا، وفي كل الأحوال مهما فعل الحزب فإنه لن ينظم عنه بيت شعر أو قصيدة تتغنى ببطولاته، والأحرى بمن فعل ذلك أيام حرب ٢٠٠٦ أن ينظم قصائد أخرى تهجوه.

ولكن في اتجاه آخر وفي ظل حديث نصر الله بصيغة «لن» التي تفيد الاستقبال وما تدلل عليه من قرار نهائي لحزب الله أو بتعبير أدق لطهران في المضي إلى جانب النظام حتى النهاية فإننا لا نستغرب أن يخرج حسن نصر الله ليتحدث ليس عن حيفا وما بعد حيفا وما بعد بعد حيفا، وإنما عن القصير وما بعد القصير وما بعد بعد القصير.

المقاومات: القطيعة النهائية

أعطت الوثيقة حيزا كبيرا للقضية الفلسطينية بشكل مباشر في الفصل الثالث أو من خلال الإشارة إليها في سياق المحاور الأخرى لدرجة يمكن القول إن شرعية الحزب مستمدة بدرجة أولى من موقفه من القضية الفلسطينية، كما أن موقف إيران منها يمثل عربونا يستوجب على كل الدول العربية في مقابله السكوت عن كل ما تقوم به طهران على حساب مصالحها وأمنها القومي، وفي سياق متصل حاول حزب الله توثيق علاقته بفلسطين من خلال تأكيده بشكل قاطع وجازم مساندته وتأييده ودعمه للشعب الفلسطيني وحركات المقاومة الفلسطينية ونضالها في مواجهة المشروع الإسرائيلي، واستغل هذا البعد لتجاوز الإطار الطائفي الذي كان ينعت به من خلال حديثه عن دور المقاومات وذكر بالاسم المقاومة العراقية وحركة طالبان.

وقد بدا أن هدف حزب الله من هذا الربط سد خلل واضح في نظرته إلى مفهوم «المقاومة»، والتي كانت مأخذا للآخرين عليه ودلالة على «مصلحيّة» دور المقاومة لديه و«ضرورة» ارتباطها بإيران حتى يتم تصنيفها على أنّها «مقاومة». وكان هدفه من ذلك سد هذه الثغرة وكسب الجماهير وإعادة الترويج لحزب الله «بشكل جديد» خاصة بعد الانتكاسات التي ضربت شعبيته في العالم العربي والإسلامي وخاصة بعد العام ٢٠٠٦. وبدل الرجوع إلى الأرشيف لتأكيد الفرضية كما فعل الباحث علي باكير[1]، فإن مواقف الحزب في هاتين السنتين بعد صدور الوثيقة تثبتها بما لا يدع أي مجال للشك.

فالمواقف المتناقضة بين حركة حماس وحزب الله من الثورة السورية وخروج قياداتها من دمشق، فضلا عمّا يتعرض له مخيم اليرموك للاجئين في العاصمة من تدمير وانتهاكات من طرف النظام كان بمثابة القطيعة شبه النهائية بين الطرفين، فالنظام السوري لم يرضَ بأن تلتزم حماس الحياد أو الصمت في المعركة وإنما أراد أن تنخرط معه وتبرر أعماله، والمرتزقة من اليساريين ممثلون في الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين برئاسة أحمد جبريل اختاروا صف النظام طبعا ليس لمواجهة الإمبريالية

---

(١) لتفاصيل أكثر أنظر: علي حسن باكير، ملاحظات أولية على وثيقة حزب الله السياسية٢/٢، مجلة الراصد، العدد ٨٠، صفر ١٤٣١، على الرابط:
http://alrased.org/main/articles.aspx?selected_article_no=4119

وإنما بفعل النزوات والمصالح الشخصية التي جعلت من القضية الفلسطينية غطاء لإبادة شعب يتطلع للحرية.

أما حزب الله فبدل أن يرفد خيار النأي بالنفس الداخلي بالحياد محاكاة لحركة حماس، أدار ظهره هو الآخر لها خاصة بعد حديث نصر الله في خطابه الأخير عن الأصدقاء الحقيقيين لسورية الذين لن يسمحوا بسقوطها، وبمفهوم المخالفة فإن هناك أصدقاء آخرين غير حقيقيين وصادقين، ولا شك أن حماس تأتي في مقدمة هؤلاء في ظل الحملات الإعلامية ضد الإخوان المسلمين عموما وحماس خصوصا التي يشنها الإعلام الممانعاتي.

وأي تقارب جديد بين حركة حماس وحزب الله سيعني بالضرورة تباعد بينها وبين النظام الجديد في سورية الذي سيكون الإخوان المسلمون لاعبا مؤثرا فيه، وفي مقابل إمكانية دخول النظام الجديد في حرب مفتوحة مع حزب الله إذا ما ذهب الحزب بعيدا في تورطه مع النظام لتقسيم سورية، وهذا سيناريو محتمل نظرا لاستحالة تفريط طهران في موقع قدم لها في سورية مهما كان شكله، ولربما قد يجد نوعا من الدعم الغربي تحت ظل حماية الأقليات. كما أن النظام الجديد سيتيح للمقاومة الفلسطينية متنفس آخر للنشاط والعمل ربما بأضعاف ما كانت عليه في السابق، وهذا ما قد يرسخ القطيعة النهائية بين حماس وحزب الله.

الاندماج واللبننة

اعتبر البعض أن وثيقة حزب الله السياسية لعام ٢٠٠٩ تعكس الاندماج الفعلي للحزب في السياسة اللبنانية منذ تم انتخاب ممثلين له في مجلس النواب لأول مرة عام ١٩٩٢، ومنذ بدأ في عام ٢٠٠٥ المشاركة في تأليف الحكومات اللبنانية المتعاقبة[١]، وأنها خطت خطوة مهمة نحو «اللبننة» عكست انخراط الحزب في الحياة السياسية الداخلية أسوة بالأحزاب والتيارات السياسية الأخرى[٢]، ولكن الواقع أثبت أن الحزب مندمج في النظام السوري أكثر منه في النظام اللبناني بحيث تحول إلى جهاز أمني مساند في بعض المناطق ومتقدم في مناطق أخرى مثل القصير التي ملأ فيها الفراغ الذي تركه انسحاب جيش الأسد.

ونظرا للعلاقات التاريخية بين سورية ولبنان ناهيك عن التحالفات والاصطفافات بين القوى السياسية من مختلف القضايا الإقليمية اعتبر كثيرون شعار «النأي بالنفس» خيارا صعب التحقيق لحد الاستحالة، وهذا ما أثبتته الوقائع لاحقا، إذ في حين انحاز حزب الله إلى جانب النظام، أيدت قوى ١٤ آذار الثورة، ولكن مع فرق شاسع، فبينما توقف تيار المستقبل وحلفاؤه عند حدود الدعم السياسي فإن حزب الله انخرط في القتال إلى جانب النظام من اليوم الأول في الخفاء ثم أصبح الأمر معلنا والكلام لنصر الله نفسه، أما الدعم العسكري السني فقد جاء من الشيخ أحمد الأسير وغيره من العلماء اللبنانيين ولكن كرد فعل عن جهر حزب الله بقتاله في سورية، وتجدر الإشارة هنا إلى عدم المقارنة بين مليشيات حزب الله المدربة والمؤهلة، وبين متطوعين مدنيين من الطرف الآخر.

سبق ذلك أشكال مختلفة من الصراع كالمظاهرات المؤيدة لهذا الطرف أو ذاك، إلى الاشتباكات بين باب التبانة وجبل محسن، مرورا بالاغتيالات التي كان أبرزها اغتيال اللواء وسام الحسن المرشح المحتمل لخلافة اللواء أشرف ريفي في مديرية قوى الأمن، والشيخين السنيين، والمحاولة الفاشلة للوزير السابق ميشال سماحة الموالي لسورية، حيث خطط للقيام بتفجيرات واغتيالات في لبنان بالتنسيق مع مسئولي الأمن السوري.

ورغم كل هذا فإن خيار «النأي بالنفس» كان الخيار الوحيد الذي يفترض أن يضمن أمن واستقرار لبنان وعدم انزلاقه إلى منحدر خطير من الاحتراب الداخلي أو الحرب الأهلية التي عانى منها البلد في سبعينات وثمانينات القرن الماضي.

والذي يتحمل مسؤولية فشل هذا الخيار هو حزب الله

---

(١) جمال عبد الجواد، وثيقة حزب الله السياسية. ما الجديد؟، الأهرام اليومي، ٢٠٠٩/٠٩/١١، على الرابط:
http://digital.ahram.org.eg/articles.aspx?Serial=18068&eid=184

(٢) أحمد الزعبي، قراءة في وثيقة حزب الله: حدود التلاقي والافتراق بين =

الانتماء الوطني والنزعة الإيديولوجية، جريدة المستقبل، العدد ٣٥٠٠، ٢٠٠٩/١٢/٠٣، على الرابط:
http://www.almustaqbal.com/storiesv4.aspx?storyid=381575

لأنه هو من سخّر الحكومة التي كان يسيطر عليها خدمة للأوامر التي تأتيه من طهران دون مراعاة أي اعتبار داخلي، ولما استنفدت مهامها استقالت عندما أصبح وجودها لا يستقيم مع تحول الحزب إلى التصريح بدوره في سورية كون رئيسها هو صاحب فكرة النأي بالنفس، التي كان بإمكان الحزب أن يجسدها، ولا يمكنه أن يدعي أنه في المعارضة وأن الحكومة تخدم المشروع الأمريكي كما دأب عليه في وقت سابق.

والأسوأ من ذلك أن الحزب لم يكتفِ بتبرير مواقفه على المستوى الإقليمي والدولي، وإنما جعل من تدخله في سورية واجبا وطنيا، فالدفاع عن الشيعة في القرى السورية واجب وطني، وهذه المحاولة هي الأخرى لسد الثغرة الأخلاقية لتهذيب الخطاب أو عدم التصريح بحقيقة البعد الطائفي لأن الحزب هو ديني أولا وأخيرا.

وحتى الواجب الوطني هو جزء من الواجب الديني وبالتالي فإن الحديث عن لبنان في الوثيقة الثانية للحزب لا يخرج عن هذا الإطار إطلاقا، وحتى إذا سلمنا جدلا بأن حماية اللبنانيين في سورية واجب وطني بعدما تخلى جيش الدولة السورية عنهم فهل حماية مقام السيدة زينب واجب وطني أيضا؟؟ والملفت للنظر أن النظام السوري لم يتحدث عن المقاتلين اللبنانيين الذين يدخلون من الحدود، ولم يتحدث عن السيادة السورية المنتهكة من قبلهم وعن دوره الوحيد في حماية الشعب السوري.

الطائفية والوجهة الثالثة لسلاح الحزب

النقطة التي كانت محل جدل بين النخب اللبنانية هي موضوع سلاح حزب الله الذي يتناقض مع حديثه عن دولة قوية، لأن أبسط أبجديات تعريف الدولة في العلوم القانونية والسياسية هي احتكارها للقوة وفرضها القانون، وقيامها بدور حماية المواطن من المخاطر الخارجية والداخلية، وسلاح حزب الله يتناقض مع هذا، ولتجاوز هذه الإشكالية كان الحزب يبرر امتلاكه للسلاح بأنه سلاح مقاومة ضد العدو الإسرائيلي، وأنه دفاعي لن يوجه للداخل، وبعد تصريح حزب الله بدور الحزب في سورية فإنه أضاف مهمة جديدة أو وجهة ثالثة لسلاحه وهي حماية بلد آخر له سيادته أو يفترض ذلك، فمنذ حرب ٢٠٠٦ أُغلقت الجبهة الإسرائيلية بشكل نهائي - حتى الآن على الأقل- بين حزب الله وإسرائيل، وفي سنة ٢٠٠٨ فتح الحزب الجبهة الداخلية، والآن انتقل إلى الجبهة السورية مخليا الجبهة الإسرائيلية.

والجديد في هذه الجبهة أنه انتقل من «المقاومة» والدفاع لحماية لبنان إلى الهجوم أو توسيع دوائر الدفاع على أسس شيعية وليست لبنانية رغم أنها مغلفة بهذا الغطاء، هذا إذا سلمنا جدلا بأنه يقاتل فقط في القرى الحدودية في القصير، ولكن هذه الحقيقة التي كان ينفيها الحزب في بدايات الثورة سرعان ما عاد ليؤكدها مؤخرا، ولن يكون غريبا أن يعود ويقر في وقت لاحق بتواجد الحزب في كل جبهات القتال، كما أقر بحماية مقام السيدة زينب.

وهذا يثبت طائفية الحزب التي حاول البعض نفيها عنه، بدليل مشاركته في النظام الطائفي اللبناني ولكن في إطار المقاومة ذلك لأنه لا يمكن أن تكون المقاومة طائفية. فهي في الجوهر مقاومة وطنية وفي السياق ذاته هي مقاومة قومية تتخطى الأصول الطائفية[1]، ولكن وكيل الولي الفقيه بدل أن يعمل على إلغائها في النظام اللبناني يريد في الحقيقة تعميمها في المنطقة كلها.

وكما بقراره تلطيخ يديه بالدم السوري وجرائمه في حق السوريين دق آخر مسمار في نعش اللبننة، فإن الحزب بتغييره وجهة البندقية من الصهاينة إلى السوريين ينسف أيضا كل ما جاء في الوثيقة الثانية من مساحيق تجميلية لأيدلوجيته الشيعية الطائفية، فالحزب ينطلق من أسس عقدية يستحيل النظر له من نافذة مغايرة لها، كما أثبت مدى تبعية النظامين السوري والعراقي للولي الفقيه الإيراني، وأكثر من ذلك فمشروع حزب الله ليس شرخا سنيا شيعيا وإنما محاولة لخندقة كل الأقليات في وجه عموم الأمة السنية، فإلغاء الطائفية من خلال الأقلية، في إطار تحالف الأقليات.

خلاصة

في وثيقته الأولى «من نحن وما هي هويتنا» عرّف فيها الحزب نفسه قائلا «إننا أبناء أمة حزب الله التي نصرَ اللَّه طليعتها في إيران وأسست من جديد نواة دولة الإسلام المركزية في العالم، نلتزم أوامر قيادة واحدة حكيمة تتمثل بالولي الفقيه الجامع للشرائط، كل واحد منا

(١) مروان فارس، قراءة قومية في وثيقة «حزب الله»، على الرابط: http://ssnp.net/content/view/13490/

يتولى مهمته في المعركة وفقا لتكليفه الشرعي في إطار العمل بولاية الفقيه القائد، نحن في لبنان نعتبر أنفسنا – وندعو الله أن نصبح جزءاً من الجيش الذي يرغب في تشكيله الإمام من أجل تحرير القدس الشريف».

هذا النص من الوثيقة الأولى أو الرسالة المفتوحة للحزب هو القراءة الحقيقة لحزب الله وفكره، والتي أثبتتها مواقفه وأعماله ضد الثورة السورية، يومها كان هامش التقية بفتوى من الخميني قليلا جدا للفورة والحماسة التي طبعت نظام الملالي حينها، عندما ظن أتباع ولاية الفقيه أنهم سيكتسحون العالم، وأن هذا زمنهم وزمن حضور مهديهم، ولكن الحرب الأهلية والتطورات التي شهدتها المنطقة وإيران نفسها، والمساءلة السياسية للحزب والتطور في وسائل الإعلام الذي عرّف عموم أهل السنة بحقيقة حزب الله والمعتقدات الشيعية دفعت الحزب إلى العودة إلى لحاف التقية والمناورة مرة أخرى.

وربما كتب لهذه الخطوة النجاح النسبي، غير أن الفاصل الزمني القصير بين الإعلان عن الوثيقة وحركات الاحتجاج التي انتهت إلى ثورات شعبية سرعان ما انتقلت إلى سورية كشفت حقيقة الحزب مرة أخرى، ولكن السؤال الذي يطرح: ماذا بعد هذا؟ هل هي نهاية حزب الله أم أنه سينجح مرة أخرى في خداع الأمة؟؟

الثورة السورية بين علماء السلطان وسلاطين العلم

عمّار الشُرفي(*)

(هذا مقال قديم لكن لأهميته نعيد نشره. الراصد)

جرت العادة أن لكل سلطان حاشيته من علماء الدين، يسوقون ويزوقون، يسوغون ويهللون، ويضفون على قرارات الحاكم لبوس الدين وقدسية الشّرع، ومباركة السّماء!

وبالمقابل هناك علماء يخالفون وينتقدون، ينكرون ويذمّون، وإلى التغيير والإصلاح يهدفون.

وهذا أمر غير مستغرب، فأفهام الناس متباينة، ومصالحهم مختلفة، كما عبر عن ذلك البيان الرباني ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴿١١٩﴾﴾ [هود: ١١٨- ١١٩].

ولا أدلّ على هذه الحالة من موقف علماء ودعاة الإسلام السوريين من الأحداث التي تشهدها بلدهم إذ وقفوا صفين متباينين:

صف إلى جانب السلطان في وجه الشعب الثائر، الذي برأيهم لا يعرف مصلحته، ولا يدرك ما يراد له، ولا أين يتجه به، لذا فكروا بدلا منه، وقرروا نيابة عنه، وباسمه بايعوا «ولي الأمر» على السمع والطاعة، حتى وإن سجن وعذب، ومنع الاسلام من الحياة العامة بكل الأشكال. وانبروا ينظرون ويحذرون ويخونون.

ينظرون للواقع المرير وفوائده، فالديكتاتورية عندهم خير من الديمقراطية التي برأيهم لا تأتي إلاّ بشر في الدين والدنيا، وهي عبارة عن استعمار عن بعد من الغرب!

ويحذّرون من المخطط الخارجي، وكيد الآخر، وعدوانه، مما يجعل قانون الطوارئ مطلبا دينيا وقوميا، لأنه حاجة ملحة، لأن البيئة السورية حالة خاصة، ولا يمكن مقارنتها بالحالة التونسية أو المصرية، رغم أن دولة الاحتلال الصهيوني رغم كل ما يحيط بها لم تفرض حالة الطوارئ.

وعلى الشّعب أن يختار بين الديكتاتورية وتبعاتها، أو الاقتتال الطائفي، وليس هناك فهم ثالث.

وكل من سولت له نفسه غير هذا فهو عميل متآمر، وخائن مأجور، ومخرب مغرض، ومخرب مندس!

ووفق هذه الرؤية تحشد النصوص الشرعية في سياق وفي غير سياق، تجتزأ من هنا ومن هناك، تقدم فتوى لأنها تلبي المصلحة، وتؤخر أخرى لأنها لا تتوافق مع الواقع العام، بل وفي هذه المرحلة «الحرجة» على الآراء أن تتحد تحت سقف الوطن، والمقصود بالوطن حزب البعث الحاكم من عشرات السنين.

والكلام عن سلب الحقوق، والاعتداء على الحريات، والقبضة الأمنية التي تحكم البلد، ونهب

(*) كاتب يمني.

خيرات وثروات الوطن ليس الوقت مناسبا للكلام عنها في هذا الظرف الرّاهن!

بهذه النظرة كان تعاطي الشيوخ الموالين للنظام السوري مع الأحداث التي تشهدها البلد، بدءاً بالدكتور محمد سعيد رمضان البوطي الذي قال عن الشباب الثائرين بأنهم نتاج مؤامرة خارجية، وبأن وجوههم ليست وجوه مصلّين، ولا تتم المطالبة للحقوق إلا بـ«الحوار» مع النظام الحاكم حقناً للدماء، وعلى هذا المنوال جرى من بعده كالدكتور مصطفى البغا.

أمّا الشيوخ الرسميون كالمفتي العام أحمد حسون الذي وصف الشباب الثّائرين بالمخربين، والدكتور محمد الحبش عضو مجلس الشّعب، وعبدالسلام راجح عضو مجلس الشعب أيضا، ومفتي الحنفية في دمشق «الدكتور» عبد الفتاح البزم، و«الدكتور» حسام الدين الفرفور، والدكتور محمد شريف الصواف الرئيس العام لمجمع كفتارو، وعلماء الشّيعة في سورية، فكلهم هتفوا بصوت النظام، وذكروا روايته، ولم يزيدوا على ما قاله سوى أنّهم حشدوا ما صح وما لم يصح من النصوص الشرعية لدعم توجه النظام في وجه «المتآمرين، والمندسين، الذين ينفذون مخططات تآمرية خارجية»!

وأضحى ظهور هؤلاء الشّيوخ على وسائل الإعلام السورية مسلسلا يوميا، بعد أن كان الإسلام ممنوعا منعا شاملا من الظهور في وسائل الإعلام، اللّهم إلاّ من وجه أو وجهين «بعثيين أكثر من حزب البعث».

يتحدّثون عن الفتنة والمؤامرة التي تحاك ضد سورية في الظلام، والوحدة السورية، والقيادة الحكيمة للرئيس الأسد، وأنه المجدّد المرجو كما قال ذلك الدكتور محمد الحبش، وعن حرمة الخروج عن ولي الأمر، وعن «الحكمة» في طلب الحقوق، والحوار، و...

وأجمعوا على كيل التهم للعلاّمة القرضاوي الذي بزعمهم هو داعية فتنة، وعالم سوء مأجور، وحزبي تابع، و...

وما تعرضوا للدماء التي سالت على أيدي قوات الأمن تجاه الشباب الأبرياء المسالمين، بل أكثر من ذلك أنّهم ذهبوا مذهب النظام في تفسير ثورة الشباب من أنهم مخربون ومندسون!

علماء ودعاة في صفّ الثّورة

وفي الوقت الذي التزم فيه بعض الشيوخ الصمت كالدكتور الفقيه وهبة الزحيلي والداعية المعروف محمد راتب النابلسي الذي اتبع منهج «إن لم تستطع أن تقول حقا، فلا تقل باطلا»، اصطف علماء ودعاة وشيوخ آخرون إلى جانب ثورة الشباب كالعالم الجليل الشيخ أسامة عبد الكريم الرفاعي خطيب جامع الشيخ عبد الكريم الرفاعي بدمشق، والذي شهد مسجده مظاهرات عارمة تطالب بالإصلاح، ويمكن القول من أنه أصبح لسان حال شباب الثورة السورية ضد النظام الحاكم. وهو من وقف بكل إباء يتحدث عن الظلم الذي يمارسه النظام، وعن حتمية رفع قانون الطوارئ الجاثم على صدور السوريين من نصف قرن من الزمن، وعن حقوق الإنسان في البلد، وعن المعتقلين، والحريات، والحياة السياسية في البلد.

وتبعا للشيخ، سارَ من يسمون في سورية بـ «جماعة زيد» كالشيخ سارية الرفاعي، والشيخ نعيم العرقسوسي، ولو أنهم لم يزيدوا على القول اللين في النصح للنظام الحاكم.

وانضم إلى هؤلاء الشيخ نعيم الحريري، الذي سقط قريبون له شهداء في الأحداث، والشيخ معاذ الخطيب خطيب الجامع الأموي سابقا، والممنوع من الخطابة، والدكتور عماد الدّين الرّشيد نائب عميد كلية الشّريعة الذي تمّ اعتقاله من الأمن هذا الأسبوع. وأيضا انضم إليهم الشيخ محمد كريم راجح شيخ قراء دمشق الذي ورغم عدم وقوفه مع أهل درعا، إلاّ أنه عاد من جديد ليدعم الشباب المطالبين بالإصلاح العام في خطبته الأخيرة، دون نسيان الشيخ أحمد صياصنة خطيب الجامع العمري بدرعا، وكل خطباء درعا.

أمّا الشيوخ المغتربون عن الموطن كُرها كالدكتور محمد علي الصابوني، والشيخ العرعور، فقد وقفوا بجانب شباب الثورة، وأيدوها ببيانات، وتصريحات.

وهؤلاء الشيوخ غُيب صوتهم، ومُنعوا من الظهور الإعلامي، والتجمعات، وروقبت حركاتهم، وضُيّق عليهم في كل مناحي الحياة.

وبين هؤلاء وأولئك، ووسط سقوط عشرات الضحايا المدنيين، وجرح المئات منهم، تمضي الثورة السورية إلى مصير لا يعلمه إلاّ الله.

المد الشيعي في جزر القمر... دلالات وأبعاد

بخاري مردابي موسى(*)

تمهيد:

تشهد جزر القمر فى السنوات الست الأخيرة تصاعدا ملحوظا للنفوذ الإيراني وللتمدد الشيعي وبصورة متسارعة وملفتة، شأنه في ذلك شأن سائر حركات التشيع والحملات الصفوية المنتشرة فى الدول الإسلامية بصفة عامة، وفي القارة الإفريقية بصفة خاصة.

فمنذ انطلاقة الثورة الإيرانية وهي تحاول مد النفوذ الشيعي خارج أراضيها وإن تغيرت أساليبها لتحقيق ذلك، من الشكل الصريح لنموذج تصدير الثورة، إلى التغلغل فى صورة منظمات خيرية، ومؤسسات اجتماعية، مرورا بالكتب والمنشورات، حيث شرعت إيران فى السعي لتحقيق العديد من الأهداف، وفي مجالات متعددة، وهذا ما يجري فى جزر القمر، فحركة التشيع فى الجزر قد بدأت تأخذ زخما متزايدا خلال الفترة الأخيرة.

ومنذ تولي عبد الله سامبي (المتهم بالتشيع منذ أن كان طالبا في إيران) رئاسة الجمهورية في عام ٢٠٠٦ أخذ التوجه نحو التشيع لدى أبناء جزر القمر في التنامي بصورة مرحلية وممنهجة، بل ومؤسسية، وعبر آليات ووسائل متنوعة ومتعددة تحت ما يسمى بتصدير الثورة، مما شكل نقطة مفصلية في تاريخ جزر القمر وفي تاريخ الدعوة الإسلامية، وهذا ما يستدعي من الجميع- وأولهم العلماء والدعاة- تحمل المسئولية وأخذ الحذر وبذل الجهود الممكنة للتصدي لهذاالخطر، واستئصال بذرة الفتنة قبل أن تكبر، لأن منبت الفتنة هو تعدد الطائفية وتعدد الفئات في البلد الواحد، ولهذا تأتي هذه الدراسة بإلقاء الضوء على تأثير هذه الحركة السرطانية ومحاولة لكشف المستور تجاه القضية، للوصول إلى حلول عاجلة وآليات ومشاريع عملية تكون صدا منيعا وحصنا حصينا لمجتمعنا القمري بإذن الله تعالى وما ذلك على الله بعزيز.

(*) كاتب إيراني.

تاريخ التشيع في جزر القمر:

أول بروز علني للشيعة في جزر القمر كان قبل ست سنوات، خلال الاحتفال بذكرى عاشوراء، بشكل مفاجئ في ٢٩ يناير/كانون الثاني ٢٠٠٧ والذى يسميه الشيعة في جزر القمر (يوم التبليغ للتشيع)، حيث خرجت مجموعة من المتشيعين إلى شوارع مدينة مروني العاصمة في صورة لا تختلف عن احتفالات الشيعة بهذا اليوم، سواء في إيران أو العراق أو جنوب لبنان. وقبل ذلك كانت هناك خلايا شيعية تنشط بالخصوص في مدينة متساموود عاصمة جزيرة هنزوان.

وتعتبر جزيرة هنزوان وعاصمتها متساموود مسقط رئيس عبد الله سامبي، المعقل الرئيسى لحركة التشيع فى جزر القمر، وكذالك في بعض المدن والقرى فى جزيرتي القمر الكبرى وهنزوان إلا أن تاريخ التشيع في جزر القمر يعود إلى الثمانينات من القرن المنصرم، بعد أن رجع الرئيس السابق الملقب بآية الله سامبي من دراسته في إيران ونشط نشاطاً مبهرا في المجال الدعوي من خلال الدروس والمحاضرات التي كان يلقيها، ليس في جزيرته فقط وإنما في جميع الجزر بما فيها جزيرة ماووري المحتلة مِن قبل فرنسا، وأصبح من الدعاة المشهورين الذين يدعون في المناسبات الدينية والاجتماعية من قبل العامة والخاصة فأصبح معروفاً لديهم وقريباً من قلوبهم بسبب عاطفة الشعب الدينية وحبهم للدعاة وأهل الصلاح.

وقد أنشا عبد الله سامبي في وقت مبكر في جزيرة هنزوان جماعة سماها (أنصار الإسلام)، كما أنشأ المتشيع رقم (٢) المدعو محمد ملجاو جمعية في جزيرة القمر الكبرى تسمى (جمعية الثقلين)، وكانتا بمثابة خلايا سرية لحركة التشيع فى جزر القمر... ويقدر عدد المتشيعين فى جزر القمر حسب المصادر الشيعية العالمية بـ ٦٠٠٠ متشيع تقريبا، أما المصادر الشيعية المحلية فيقدرونهم بألف متشيع تقريبا، وأيّا كان العدد الصحيح، فهو عدد كبير نسبيا إذا ما قورن بالفترة الزمنية وبعدد السكان فى جزر القمر البالغ ٨٠٠ ألف نسمة.

عوامل سعى ويسعى الشيعة لاستغلالها لنشر دعوتهم:

لا شك أن التغلغل الإيراني في جزر القمر وسعيها

الحثيث لتشييع مواطنيها قد حقق نجاحات لا بأس بها نسبيا وذلك يرجع إلى عدة عوامل، من أهمها:

١- الطلاب القمريون الذين يدرسون في مدغشقر وكينيا حيث يتم تشييعهم من قبل السفارات الإيرانية ومراكزهم الثقافية الموجودة فى هذين البلدين وذلك من خلال استغلال خبيث لظروف الطلاب المعيشية وظروف الغربة، وقد ثبت من خلال المتابعة والرصد أن معظم المتشيعين في جزر القمر تشيعوا في مدغشقر، حيث يوجد فيها وفي كينيا مراكز وهيئات إيرانية لأجل تشييع شرق إفريقيا والقرن الإفريقي.

٢- المنح الإيرانية الدراسية المجانية للجنسين التي فتحت على مصراعيها في الدولة الصفوية أو بمراكزها التعليمية في كينيا حيث (معهد الرسول الأكرم) الذي أسسه الإيرانيون، أو غيره من المراكز الأخرى في بعض الدول الإفريقية ليعودوا غداً على نهج الرئيس السابق، وهناك خلايا تنشط في استقطاب الطلاب لهذا الغرض، ويوجد في إيران حاليا المئات من الطلاب معظمهم من هنزوان يواصلون دراستهم في جامعة قم الإيرانية.

٣- تولي الرئيس سامبي - المتشيع والموالي لإيران- منصب الرئاسة في بلاده، فقد حرص على تقوية علاقات بلاده بإيران، ففي (يونيو/ حزيران ٢٠٠٨) زار سامبي إيران على رأس وفد اقتصادي - سياسي رفيع المستوى، وأكد على ضرورة الاستفادة من تجارب الخبراء الإيرانيين في تنمية بلاده، حيث تم استثمار هذا الحدث من قبل إيران والشيعة فى تحقيق وجودهم في جزر القمر سواء من خلال تكثيف نشاطاتهم الدعوية والتبشيرية بصورة ملفتة كماً ونوعاً، أو من خلال الزيارات التى تتم وبصورة ملفتة كذلك من قبل إيران والشيعة في العالم والذي أدى إلى تطور العلاقة الدبلوماسية والثقافية بين جزر القمر وإيران ولأول مرة، بصورة غير عادية، كما تم تسجيل زيارات لشخصيات شيعية من السعودية والسودان ولبنان والبحرين وسوريا وغيرها.

٤- مشكلتا الفقر والجهل التي يعاني منهما معظم مواطني جزر القمر حيث تعد جزر القمر من أفقر ثلاث دول في العالم، فميزانيتها السنوية حوالي (٧٠) مليون دولار، و٨٠٪ من القمريين فقراء أو تحت حد الفقر، أما الجهل بالدين فهو نتيجة طبيعية للمنهج التربوي والتعليمي المعتمد من قبل الدولة والذي لا يدرس فيه الإسلام ولا اللغة العربية، وبهذا تسلل الشيعة عبر جمعيات الإغاثة والمنظمات الخيرية وقد تم تسجيل أكثر من ثماني مؤسسات خيرية إيرانية تعمل فى جزر القمر كلها دخلت فى عهد سامبي ولها فروع في الجزر الأخرى.

٥- الغياب العربي عن جزر القمر، وأزماتها، واحتياجاتها (باستثناء بعض المساعدات المالية الخليجية وبعثات طلابية في جامعات مصر والسودان والسعودية)، فالدولة العربية أو الإسلامية الوحيدة التي تمتلك سفارة لها في موروني هي ليبيا، ثم السودان التي فتحت سفارة لها قبل سنتين تقريبا.

٦- قلة المؤسسات الخيرية الإسلامية العاملة في جزر القمر وضعف المؤسسات الخيرية المحلية، ما خلق فراغا واضحا فى الساحة تملؤه إيران والشيعة، والغريب أن علاقة جزر القمر مع الدول العربية سبقت العلاقة القمرية الإيرانية بثلاثين سنة. ولكن اللافت أن حضور إيران في الساحة القمرية أكبر وأقوى بكثير من الوجود العربي.

٧- استغلال الصوفيين، وحب القمريين لأهل البيت واحترامهم من الأبواب التي استغلها الشيعة في نشر فكرهم والتبشير بدينهم.

٨- محاولة استثمار بعض الآثار التاريخية الدينية في جزر القمر وبعض الطقوس الدينية والبدع المنتشرة لإثبات أن القمريين شيعة بالفطرة، والزعم بأن الشيعة هم الذين أدخلوا الإسلام لجزر القمر وأن الأجداد الأوائل كانوا يعتنقون المذهب الشيعي، وهذا بالتأكيد لا يُثبت تشيع جزر القمر فالبدع والخرافات العقدية المنتشرة في جزر القمر، هي بسبب تفشي الجهل وغياب الوعي الديني.

٩- البعد الجغرافي لجزر القمر عن العالمين العربي والإسلامى وفي المقابل فموقعها الجيوسياسي الهام يجعلها عرضة للاستهداف الشيعي والإيراني ضمن خطة الدولة الإيرانية في الاهتمام بالقارة الإفريقية لتحقيق بعض الأهداف الثقافية والسياسية والاقتصادية.

١٠- غياب أو ضعف آليات الدعوة الإسلامية والتوعية الدينية في جزر القمر فالدولة القمرية ليس لها أى دور إيجابي تجاه الإسلام، فكل المجهودات الدعوية والتعليمية الإسلامية يقوم عليها متطوعون بجهود فردية ومعظمها ليس على مستوى التحدي، ولا على درجة قوة التيار الإيراني، فعندما تقاوم شخصا أو فئة أو جماعة

فكريا فلا بد عليك حينئذ أن يكون لك علم بوسائله وطرقه.

١١- عدم وجود رقابة جادة للدولة تجاه المنظمات الأجنبية العاملة في البلد، سواء في أنشطتها أو في ميزانيتها أو في مدى تحقيق أهدافها التى جاءت من أجلها وغيرها من الأمور التي من الطبيعي أن تكون على علم من الدولة، فاستغلت المنظمات الإيرانية هذا الفراغ لنشر التشيع.

العلاقات القمرية الإيرانية وأثرها على نشر التشيع:

إن المتابع للشان القمري ولشأن العلاقات بين الدول يلاحظ تطورا غير طبيعي أو غير عادى فيما يخص العلاقات القمرية الإيرانية، فقبل تولي الرئيس السابق (عبدالله سامبي) رئاسة الجمهورية القمرية المتحدة في سنة ٢٠٠٦ لم تكن هناك علاقة بين جزر القمر وإيران ولم يكن لإيران أي وجود فيها، وبعد تولي سامبي بدأت العلاقة بين البلدين وأخذت تتطور بشكل ملحوظ وحثيث، توجت بعدة اتفاقيات ومذكرات تفاهم سرعان ما خرجت إلى حيز التنفيذ، وفيما يلي أهم المحطات والإنجازات التي مرت عليها العلاقة القمرية الإيرانية:

١- وقّع البلدان ثلاث مذكرات تفاهم للتعاون في مجالات التعليم المهني، والتشجيع المتبادل للاستثمارات، وتقديم إيران مساعدات لجزر القمر.

٢- وفي (شباط/ فبراير ٢٠٠٩) زار الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد جزر القمر، ضمن جولة أفريقية شملت أيضاً كينيا وجيبوتي، ورأى سامبي أن إيران تعدُّ نموذجاً ومصدر فخر للشعوب المستضعفة.. ويعتبر نجاد ثاني رئيس دولة زار جزر القمر منذ الاستقلال بعد الرئيس الفرنسي الهالك (فرانسوا ميتران) سنة ١٩٩٤.

٣- زار الرئيس عبد الله سامبي إيران مرتين في فترة حكمه التي امتدت خمس سنوات، وزارها نائبه إكليل ظنين (الرئيس الحالي) ثلاث مرات تقريبا.

٤- فتحت السفارة القمرية لدى طهران بتمويل كامل من إيران.

٥- تبادل أكثر من عشرة وزراء الزيارات بين البلدين في مدة ثلاث سنوات فقط.

٦- منذ ٢٠٠٨ زار حسين أنواري رئيس ما يسمى (لجنة إمداد الإمام الخميني) الإيرانية جزر القمر أكثر من سبع مرات للوقوف على سير الأعمال والمشاريع الإيرانية الموجودة.

٧- زار البلاد وفد مكون من ١٠ خبراء إيرانيين في مختلف التخصصات لإجراء مسوحات للكشف ووضع خريطة جيولوجية للمعادن الموجودة في جزر القمر.

٨- مُنح الإيرانيون قطعة أرض ببلدة بنداماج، الهدف منها بناء سوق كبير لبيع المنتجات والصناعات الإيرانية بعد بنائها، إضافة إلى منحهم أراض في كل من جزيرتي أنجوان وموهيلي.

أهم المشاريع والأنشطة الإيرانية والشيعية في جزر القمر:

إن نشر التشيع أو ما يسمى (مشروع تصدير الثورة) جزء لا يتجزأ من سياسة إيران الخارجية، فبعد أن أصبحت إيران قوة حاضرة في المشهد القمري، استطاعت أن تقيم عددا من الهيئات والمؤسسات الخيرية والاجتماعية والثقافية استغلتها لنشر التشيع فى البلاد والعباد، وفرضت عبر هذه المؤسسات والمشاريع أمرا واقعا في الساحة القمرية، ومن أهم هذه المؤسسات والأنشطة:

١- مركز طبي تابع للهلال الأحمر الإيراني، ومكانه في العاصمة بجوار السفارة الليبية وأمام فندق (لو موروني).

٢- مركز (التبيان الثقافي) بوسط المدينة، تابع للسفارة الايرانية فى تنزانيا، يقيم دورات للغة الفارسية.

٣- معهد الحقوق والعلوم الإسلامية التابع لمركز التبيان ويمنح دبلوما في تخصصات (الحديث، والقرآن، والقانون الإسلامي، والمحاسبة، وغيرها)، وقد تخرجت من المعهد حتى الآن دفعتان، والدفعة الحالية يوجد فيها مايقارب ١٧٠ طالبا ويقدم لهم التعليم مجانا.

٤- مركز للمساعدات الإنسانية (لجنة إمداد الإمام الخميني في جزر القمر المتحدة) ومقره على الطريق الرئيس المؤدي لمطار العاصمة، ويقوم بأنشطة مختلفة أهمها: تنظيم دورات تدريبية مدتها ٣ شهور لتعليم الشباب القمري الحرف المختلفة (نجارة، كهرباء، خياطة) ودورات تدريبية للكمبيوتر، وقد قام المركز منذ إنشائه حتى الآن بتنظيم مايقارب ١٠ دورات بمعدل ٢٠٠ مشارك في كل دورة، ومن أنشطة اللجنة رعاية

الأسر الفقيرة وتقديم الدعم المادي والعيني لهم، ويبلغ عدد الأسر المستفيدة من المساعدات التي تقدم كل شهرين ٨٠٠ أسرة قمرية.

٥- شركات مقاولات إيرانية يعمل فيها دعاة شيعة.

٦- إقامة ما يسمى بـ «الحسينيات» في المراكز الإيرانية بجزر القمر.

٧- منحت الحكومة القمرية مقر وزارة الشؤون الإسلامية والعدل سابقاً لوفد من جامعة قم لافتتاح جامعة فيه أطلق عليها «جامعة المدينة»، والغالب أنها جامعة «مدينة قم».

٨- إلحاق (١٥) متدرباً قمريّاً بالمعهد الدبلوماسي التابع لوزارة الخارجية الإيرانية؛ لأجل التدريب المكثف على العمل الدبلوماسي في المنظمات الدولية والإقليمية لمدة أربعة أسابيع؛ لتكوينهم كدبلوماسيين متخصصين.

٩- عرض فيلم «رب ارجعون»، على أكثر من قناة تلفزيونية: مثل «جبل تي في»، و(آر تي إل) و«إم تي في» وهو من إنتاج شيعة القطيف بالسعودية، وقد أرسله إلى جزر القمر المرجع الشيعي السعودي حسن الصفار.

١٠- فتح معرض للكتاب الاسلامي برعاية السفارة الإيرانية تحت إشراف وتنفيذ معهد الحقوق والعلوم والقرآن والحديث، التابع لمركز التبيان العلمي والثقافي الإيراني بالعاصمة مروني في ٢٠/ ٢/ ٢٠١٢١م الموافق ٢٨/ ٣/ ١٤٣٣هـ وهو أول معرض للكتاب في جزر القمر.

١١- كفالة ٢٥٦ طالبا قمريا في مدغشقر من حيث السكن والإعاشة وبعض الخدمات الاجتماعية الأخرى في ٦ مدن كبيرة يوجد فيها بعثات طلابية قمرية (يوجد في مدغشقر ما يقارب ثلاثة آلاف طالب وطالبة قمريين) ومدغشقر تعتبر المركز الرئيس لاستقطاب القمريين نحو التشيع ومعظم القمريين المتشيعين هم من خريجي مدغشقر.

١٢- هناك مشروع لإنشاء (مركز فاطمة الزهراء) في مدينة حاحاي التي يقع فيها المطار الدولي لجزر القمر وتبعد ١٠ كيلو مترات عن العاصمة مروني.

أهم النشاطات التي قام بها متشيعو الداخل:

إن التحدي الأكبر الذي يواجه جزر القمر حول قضية التشيع هو جرأة القمريين المتشيعين في إبراز وجودهم ومحاولة كسر حاجز الخوف من خلال ممارسة الطقوس الشيعية بشكل علني وبصورة لا يمكن وصفها الا باستفزاز مشاعر القمريين الذين يتبعون للمذهب الشافعي، ويدينون بحبهم للصحابة وأمهات المؤمنين وبآل البيت أجمعين. لقد كان تولي سامبي رئاسة الجمهورية إيذانا لمرحلة جديدة للمتشيعين في جزر القمر فقد نقلوا نشاطاتهم التي كانت سرية إلى العلن، ومن أهم هذه النشاطات:

١- الاحتفال بذكرى عاشوراء عام ٢٠٠٧ وكان هذا أول ظهور علني للشيعة، لهذا سمى المتشيع محمود عبد الله إبراهيم هذا اليوم (يوم التبليغ للتشيع) وذلك حينما خرج بعض الشباب وهم يحتفلون بذكرى عاشوراء وفق الطقوس الشيعية في عدة حسينيات في جزيرة أنجازيجا وفي جزيرة هنزوان من جزر القمر. وجميع المشاركين في هذه الطقوس هم شباب درسوا في مدغشقر أو في جزر القمر وهو دليل واضح أنه كانت هناك حركة سرية تعمل في نشر التشيع.

٢- مركز الثقلين وهو مركز تعليمي ثقافي يدرّس الأطفال فيما بين الخامسة والعاشرة، وفيه جناح للشباب لتعليم العلوم التقنية والحاسوب إضافة إلى تدريس فقه المذهب الشيعي الإثنى عشري.

٣- أنصار الثقلين، وهي جمعية مسجلة في الدولة سنة ٢٠٠٤ أسسها مجموعة من المتشيعين في جزيرة القمر الكبرى على رأسهم المتشيع محمد ملجاو، هدفها الأساسي: الدفاع عن القرآن وعن أهل البيت وقد اتخذوها ستارا لنشر التشيع واستقطاب الشباب والأطفال لهذا الغرض، ومركز الثقلين يتبع لها.

٤- حسينية في مدينة ازيوا التي تم بناؤها في ٢٠٠٩ من قبل محمد ملجاو بتمويل من (لجنة الإمداد للإمام الخميني)، ولكن الحسينية تم هدمها من قبل أهالي المدينة، وقد لجأ محمد ملجاو إلى المحكمة ضد أهالي مدينة اوزيوا ولكن المحكمة قضت لصالح الأهالي وحُكم على محمد ملجاو بالسجن ثلاثة أشهر وغرامة مالية قدرها (٥٠ ألف فرنك قمري = ١٠٠ يورو).

٥- حسينية في هنزوان في مدينة متسامود مسقط رأس سامبي، وتم توقيف (١٩) شخصا وهم يصلّون على الطريقة الشيعية، من قبل الشرطة وحوكموا بالسجن والغرامة.

٦- محاولة بناء حسينية كبيرة في مدينة متسامود

في جزيرة هنزوان لتكون منطلقا لنشاطاتهم وتحركاتهم التبشيرية.

مقاومة التشيع في جزر القمر:

على الرغم من أن نشر التشيع في جزر القمر تم على أعلى المستويات ممثلة بالرئيس السابق، وعلى الرغم من الخدمات الجبارة التى تقدمها المنظمات الشيعية فى جزر القمر إلا أنه يجد مقاومة ورفضا من قبل المواطنين الذين يرون فيه خطراً على التماسك الديني والاجتماعي فى البلد، وفكرا دخيلاً عليهم. كما يجد التشيع رفضا من قبل بعض دوائر ومؤسسات الدولة التي تجاهد وترفض التشيع، ومن مظاهر رفض ومقاومة التشيع في جزر القمر:

١- عقد اجتماع في شباط/ فبراير٢٠٠٧ حضره ستون من علماء السنة على رأسهم قاضي قضاة العاصمة «سعيد محمد جيلاني» في العاصمة موروني، ودعوا إلى حظر ممارسة الطقوس الشيعية في الجزر، وذلك بعد أيام من إحياء بعض القمريين - للمرة الأولى في جزر القمر- ذكرى مقتل الحسين بن علي في يوم عاشوراء بشكل علني. وطالب هؤلاء العلماء، الذين تجمعوا في مدرسة قرآنية، بطرد الأجانب الذين يساعدون على نشر المذهب الشيعي فى جزر القمر، وطالبوا الرئيس سامبي بحماية الشعائر السنية.

٢- عقد اتحاد الطرق الصوفية في جزيرة هنزوان مجلسه السنوي السادس عام ٢٠٠٨، رداً على نشاطات المراكز الإيرانية التي بدأت في الجزيرة[1] عقب الإطاحة بالكولونيل محمد بكر- والي جزيرة هنزوان- الذى كان يحظر نشاطات الشيعة فى الجزيرة، قبل أن يأتي الوالي الجديد الموالي للرئيس سامبي، وقد اتفق الحاضرون في المجلس على خطورة المد الشيعي في الجزيرة ودعوا الحكومة والعلماء إلى ضرورة وضع حد لهذا المد قبل أن يستفحل الأمر، وقد أكد الشيخ يوسف شافع أحد الدعاة في الجزيرة في هذه الجلسة على وجود ظاهرة جديدة فى الأوساط الدعوية، وهي ظاهرة تفسير معاني القرآن الكريم والسنة المطهّرة الشريفة خلاف ما اعتاد عليه القمريون.

٣- مطالبة وزير التربية الوطنية والتعليم العالي والبحث العلمي بجزر القمر كمال الدين أفرتان شيخ الأزهر الراحل محمد سيد طنطاوي بإنشاء معهد أزهري في بلاده، وزيادة أعداد أبنائها الدارسين في الأزهر الذي يبلغ عددهم اليوم أكثر من ١٢٠٠ طالب وطالبة؛ من أجل مواجهة المد الشيعي. وقد وافق طنطاوي على الطلب، مؤكدا على إمدادهم بالمدرسين والكتب والمناهج الدراسية بعد الانتهاء من بناء المعهد الأزهري.

٤- عقد العلماء والأعيان والخطباء في كانون الثاني/ يناير٢٠٠٩ اجتماعاً بدعوة من وزير العدل والشؤون الإسلامية بحكومة القمر الكبرى يوسف محمد بوانا؛ لتدارس النشاط الشيعي في البلاد، والسبل المتاحة لوقف هذا الخطر المحدق.

٥- رفضت بلدة اسيفوا الواقعة فى شمال العاصمة الاتحادية (مورونى) في ١٢ نوفمبر ٢٠١٢ استقبال رئيس لجنة إمداد الخمينى (حسين أنواري) الذى قام بزيارة لجزر القمر استغرقت أربعة أيام، وفي ذلك الاحتفال تم تسليم فتاة يتيمة منزلا بنته لجنة الإمداد ووهبته للفتاة المذكورة، مما اضطرهم إلى إقامة حفل تسليم مفاتيح المنزل للفتاة في مقر قصر حاكم ابجزيجا.

٦- قام البرلمان القمري سنة ٢٠٠٨ بوضع قانون باسم (قانون تنظيم الممارسات الدينية في جزر القمر) وجاء فى نص هذا القانون: (إن مذهب أهل السنة والجماعة وتحت المذهب الشافعي هو المرجع الديني الرسمي والوحيد الذي يعتبر من قبل الدولة، ويحظر جميع الممارسات الدينية التى تخالف مذهب أهل السنة والجماعة)، وقد تم تصديق هذا القانون من قبل رئيس الجمهورية في ٢٠١٣/١/٨.

وهناك مواقف كثيرة شعبية ورسمية تدلل على رفض المجتمع القمري لتشييع جزر القمر.

أبرز المتشيعين في جزر القمر:

١- أحمد عبد الله محمد سامبي باعلوي، الرئيس السابق للجمهورية، من مواليد ١٩٥٨م، انتخب عضواً في البرلمان سنة ١٩٩٦م وتولى رئاسة جمهورية القمر المتحدة سنة ٢٠٠٦، وقد تنامى المد الشيعي في جزر القمر بعد توليه الرئاسة وفتح البلد على مصراعيه للإيرانيين

---

(١) نشاطات الشيعة ظهرت في جزيرة هنزوان قبل جزيرتي القمر الكبرى وموهيلي.

وللشيعة في كل العالم وأسس في هنزوان في مسقط رأسه جمعية باسم: (جمعية أنصار الإسلام) وهي جماعة سرية للتبشير بالشيعة، وهو منسق حركة التشيع في شرق إفريقيا وجزر القمر.

٢- محمد ملجاو ممادي مدرس اللغتين الفرنسية والعربية في المدارس الإعدادية في جزر القمر وخريج مدرسة إعداد المعلمين، وهو أحد أبرز القمريين المساندين لأنشطة الرئيس سامبي الرامية لنشر التشيع بجزر القمر، وقد تشيع من خلال بعض المجلات الشيعية باللغة الفرنسية والتي كانت تباع في جزر القمر ثم بعد ذلك كان الاتصال بسامبي ليتبنى رسميا الفكر الشيعي، وقد ذكرنا بعض نشاطاته سابقا.

٣- آتوماني محمد من مواليد سنة ١٩٦١م، وتعود بداية احتكاكه بالشيعة ومذهبهم إلى ذهابه إلى أحد مساجدهم في دولة مدغشقر؛ وهو مسجد خاصّ بالهنود والباكستانيين الذين يدعون بالخوجة. يقول آتوماني عن المرحلة التي أعقبت تشيعه: «كان استبصاري (يقصد تشيعه) عام ١٩٩٥م في مدينة مدغشقر، واتجهت بعدها للعمل التوجيهي، فأصبحت داعية في سبيل العقيدة، ثم تكفلت رئاسة منظمة الشباب الطلابية الإسلامية في مدغشقر، ولا زلت أبذل قصارى جهدي لأبُيِّن الحقائق للناس؛ ولاسيما الشباب المثقف الذي يهتم بدينه وعقيدته». يدافع آتوماني عن الشهادة الثالثة في الأذان (إضافة عبارة أشهد أن علياً وليُّ الله بعد الشهادتين)؛ رغم إقراره بأن هذه الزيادة لم تكن على زمن النبي ﷺ، ويقول: «وهذا الموقف اتخذه الشيعة لإيضاح أحقية أمر الخلافة بعد رسول الله، وتوظيفه لتبيين الحقيقة».

٤- عبد السلام عبده، وينحدر من مدينة موتسامود - مسقط رأس الرئيس سامبي ويتهم الرجل بالتشيع منذ أن كان طالباً بكلية الطب بمدغشقر، عمل عبد السلام وزيراً محليّاً في حكومة موسى طيب في ٢٠٠٨م، ثم استقال منها كي يصبح نائباً برلمانيّاً عن الدائرة الثانية (بموتسامودو)، في الانتخابات التشريعية في كانون الأول/ ديسمبر٢٠٠٩م، وهو الشخص الثاني الذي يتهم بالتشيع ودخل البرلمان بعد الرئيس سامبي.

٥- محمود عبد الله إبراهيم، من مواليد جزيرة هنزوان، مدينة متسامود، درس في الكويت والسعودية وخريج كلية الدعوة، ومن علماء هنزوان. تشيع على يد سامبي سنة ٢٠٠٤ وهو الآن من المبشرين الأساسيين للشيعة في جزر القمر وعضو في جمعية آل البيت في إفريقيا ويسافر إلى إيران باستمرار، ويعد منسق حركة التشيع في شرق إفريقيا وجزر القمر بعد تولي سامبي الرئاسة.

أبعاد نشر التشيع في جزر القمر:

البعد الجغرافي: يمكن النظر إلى اهتمام إيران بجزر القمر كجزء من الاهتمام الإيراني المتنامي بقارة أفريقيا، وغيرها من مناطق العالم؛ وتكتسب جزر القمر أهميتها الاستراتيجية من كونها دولة تطل على المحيط الهندي من ناحية، وتتحكم في المدخل الجنوبي للبحر الأحمر حيث قناة موزمبيق من ناحية أخرى، ومن ثم فإنها دوله تتحكم في طريق التجارة العالمي؛ خاصة تجارة النفط القادمة من دول الخليج والمتوجهة إلى أوروبا وأمريكا، حيث يمر في هذه المنطقة ثلثا السفن الحاملة للنفط.

البعد الديني والثقافي: ويمثل البعد الديني والأيديولوجي أحد الأهداف الأساسية التي توجه السياسة الخارجية الإيرانية فيما يسمى بمهمة (تصدير الثورة الإسلامية) من خلال المؤسسات الإيرانية أو المراكز الثقافية التي تنشر الفكر الشيعي، وتعزيز نفوذها من خلال نشر جهودها في البلاد الإسلامية والمجتمعات الإسلامية التي تعيش في أفريقيا.

البعد السياسي: ترسيخ نفوذها السياسي كجزء من المحور المعادي للغرب الذي تسعى إلى إنشائه في دول العالم الثالث وذلك عبر محاولة بناء تحالفات إقليمية ودولية تستطيع من خلالها مقاومة العزلة والعقوبات الدولية المفروضة عليها وتخفيف الضغوطات الغربية عليها بسبب برنامجها النووي، فجزر القمر كدولة في شرق أفريقيا وتقع في منطقة جيو- استراتيجية هامة في أفريقيا تحاول إيران ترسيخ وجودها فيها لتقلل من النفوذ الغربي وبخاصة الأمريكي، وقد ذكرت صحيفة «المساء» المصرية أن نجاد يضع القارة الإفريقية على رأس قائمة أولويات سياسته الخارجية من أجل ترسيخ الوجود الإيراني هناك، وذكرت أن إيران تسعى للحصول على موطئ قدم لها في منطقة القرن الإفريقي وشرق إفريقيا في محاولة لتأمين الطرق التقليدية لحركة التجارة

والملاحة الإيرانية.

البعد الاقتصادي: بما أن السياسة لا يمكن فصلها عن الاقتصاد، فلإيران رغبة في الانفتاح الاقتصادي، والتنسيق لاستكشاف الموارد الاقتصادية، في ظل احتفاظ جزر القمر باحتياطيات من المواد الخام الطبيعية، وكذلك فتح السوق القمري لتسويق المنتجات الإيرانية، وقد حصل فعلا كل ما سبق، فهناك مجموعة من الخبراء الإيرانيين قامت بمسح جغرافي لاكتشاف الموارد الطبيعية الممكنة في جزر القمر، وقد أكدت نتائج المسح وجود معادن مختلفة في جزر القمر منها النفط والغاز والذهب وجملة من الأحجار الثمينة وغيرها، كما أنه تم منح الإيرانيين قطعة أرض ببلدة بنداماج، الهدف منها بناء سوق كبير لبيع المنتجات والصناعات الإيرانية مستقبلاً، إضافة إلى منحهم أراض في كل من جزيرتي أنجوان وموهيلي.

البعد الأمني والاستراتيجي: ذهب العديد من الباحثين إلى القول بأن الدول العربية تتعرض لمؤامرة دولية تحت شعار الهلال الشيعي والذي لا يهدف إلى محاربة إسرائيل والمشروع الصهيوني في المنطقة وإنما إلى مساعدة إيران وواشنطن في تنفيذ مخططاتهما التوسعية. وهناك من يتهم أمريكا بالتواطؤ مع إيران في خلق تهديد جديد للمنطقة بدل التهديد الشيوعي.

وفيما يخص جزر القمر فالأمر أخطر من ذلك، فقد ذهب كثير من المواقع الإعلامية ومن المحللين في المنطقة إلى القول بصراحة: (إن إيران تسعى لإيجاد جنوب لبنان جديد في المحيط الهندي وهو جزر القمر، على أن تكون جزيرة ماوري المحتلة بمثابة فلسطين المحتلة وفرنسا بمثابة الشيطان الأكبر (إسرائيل وأمريكا)) ... ويؤكد هذه المعلومة، وجود بعض المعلومات التي تفيد بوجود إيرانيين يقدمون تدريبات عسكرية لبعض الشباب القمريين، حسب موقع (-comores web)"roinaka.skyrock.com كما أن جزر القمر في منطقة تُعد ممراً مهماً لأي تحركات عسكرية قادمة من أوروبا أو الولايات المتحدة تجاه منطقة الخليج. وهذه الأهمية الاستراتيجية حوّلتها إلى منطقة نفوذ غربي فرنسي حيث يوجد أهم مركز فرنسي للتنصت.

كلمة أخيرة: في ضوء مجمل العرض السابق يتأكد لنا أن خطر الشيعة على جزر القمر هو خطر ديني وسياسي واجتماعي وأمني كبير جدا، والتعايش بين الشيعة والسنة أمر مستحيل وغير وارد، بدليل ما يحصل في العراق ولبنان وسورية والبحرين ونيجيريا وغير ذلك.

وخطر الشيعة يأتي من عدة أسباب:

١- الفرق بين السنة والشيعة فرق كبير وعميق، فالشيعة تخالف المذاهب الأربعة السنية في الأصول والعقائد وليس في المسائل الفقهية فقط، فمثلا: تجمع المذاهب الأربعة على أركان الإيمان الستة المعروفة في حين أن الشيعة يجعلون الإمامة لب الايمان، ولهذا قال ابن المطهر الحلي: (إن مسألة الإمامة «إمامة الإثنى عشر» هي أحد أركان الإيمان المستحق بسببه الخلود في الجنان والتخلص من غضب الرحمن)، بذلك تكون المذاهب الأربعة بأصحابها وأتباعها – حسب المفهوم الشيعي – خالدة في النار حائزة على غضب الرحمن، فطائفة هكذا مفاهيمها بالتأكيد ستكون سببا للنزاعات وصراعات عقدية واجتماعية تؤدي إلى أزمات اجتماعية ومشاكل أمنية وسياسية قد تصل إلى مواجهات عسكرية لا تحمد عقباها، فعقيدة الشيعي توجب عليه تكفير أهل السنة ووجوب قتلهم وسلب أموالهم متى قدروا على ذلك.

٢- إن الشيعة يدينون بـ (التقية) التي حقيقتها النفاق، وهو إظهار قبول الحق مع الكفر به باطنا، قال الشيخ المفيد أحد كبار مراجع الشيعة: (التقية كتمان الحق وستر الاعتقاد فيه ومكاتمة المخالفين وترك مظاهرتهم بما يعقب ضرر الدين أو الدنيا)، ومعلوم أن المنافقين أضر على الإسلام من ذوي الكفر الصريح وقد حصر الله تعالى العداوة فيهم، وأنزل فيهم سورة كاملة فقال تعالى في سورة المنافقين ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ ﴿٤﴾﴾ [المنافقون: ٤].

٣- إن تجربة التجمعات الشيعية تبين تبعيتها الكاملة لإيران وأجندتها التوسعية والسياسية مما يشكل خطورة كبيرة على استقرار البلد، فالعارفون بطبيعة التشيع يعرفون أنه يقوم على فصل المتشيع عن محيطه الذي نشأ وترعرع فيه إلى وسط آخر، فالمتشيع يكون ولاؤه طبيعيا للدولة الإيرانية، فهو يكون مستعدا لخراب بلده لمصلحة إيران، وهناك وقائع عديدة أثبتت

ارتباط كثير من هؤلاء المتشيعين بالأجهزة الأمنية الإيرانية، قال نائب الأمين العام لحزب الله اللبناني نعيم قاسم: (إن الولي الفقيه (الخامنئي) هو الذي يملك صلاحية قرار الحرب أو السلم). أما الأمين العام لـ (حزب الله- إيران) محمد باقر فقد أعلن هدف إيران من دعم بعض القوى الفلسطينية بقوله: (قدمنا لكم كل أشكال الدعم لقوى التحرر الإسلامية، ولكن ما الذى حصلت عليه إيران؟ وإذا كنا نقدم اليوم الدعم لفلسطين فيجب على فلسطين أن تسير في طريق أهل بيت النبوة، وإذا لم يحصل ذلك فما هو الفرق بينها وبين إسرائيل؟؟؟).

٤- محاولات الشيعة الإيرانيين والمتشيعين في جزر القمر تزوير التاريخ الإسلامي في جزر القمر من خلال نشر بعض الإشاعات والتصريحات في أن الشيعة هم من أدخلوا الإسلام في جزر القمر وأن الشيعة سبقت السنة، وهذا كذب وافتراء، وهو طبيعي لأن الشيعة لا يتورعون عن الكذب وعن تزوير الحقائق فالكذب بالنسبة للشيعي عقدة متأصلة وليس خصلة طارئة، ويمارسه على أنه فضيلة دينية يؤجر عليها، قال الأستاذ علاء الدين البصير: (التشيع ليس سوء فهم وإنما هو سوء قصد) ولهذا لا يستبعد محاولات الشيعة في تزوير التاريخ الإسلامي في جزر القمر، والصحيح أن التشيع دخل جزر القمر في القرن الثاني عشر الهجري في حين أن الإسلام دخلها في القرن الأول الهجري.

٥- اتخاذ جزر القمر ميدان صراع بين الدول الكبرى وايران، وهذا لن يكون لصالح البلد بل سيشكل مهددا استراتيجيا ليس فقط للأمن القمري بل مهددا للوحدة القمرية الهشة وسينجح الشيعة وإيران فيما فشلت فرنسا في تحقيقه منذ أعوام مديدة بتقسيم البلاد أو فصل جزيرة هنزوان عن الجزيرتين الأخريين لقطع السبيل من أي مسئول قمري من أن يسأل عن الجزيرة القمرية المحتلة من قبل فرنسا في المستقبل، فلا يستبعد أن يكون هناك تواطؤا فرنسيا في ذلك، أو توزيع أدوار ما بين فرنسا وإيران وخاصة وأن فرنسا تلتزم بالتغاضي عما يجري في جزر القمر حتى الآن.

٦- صعوبة اندماج الشيعي مع السني، ولذلك يحاول الشيعة دائما تكوين هيئات ومؤسسات خاصة بهم ويستحيل عليهم العمل مع غيرهم في مؤسسة أو هيئة موحدة إلا إذا تأكدوا من إمكانية تحقيق بعض أجنداتهم فيها، وهذا واضح بجلاء في شخصية عبدالله سامبي الذي لم يستطع العمل مع جبهة العدالة الوطنية «الحركة الإسلامية القمرية» على الرغم من أنه من المؤسسين للجبهة، ولم يلتزم يوما ما لقرار أو نظام الجبهة، والمشكلة ليست في سامبي وإنما في الشخصية الشيعية.

ما العمل؟؟

بعد هذا العرض الموجز حول خطورة المد الشيعي وترويج المعتقدات الشيعية في جزر القمر، وما فيه من دلالات وأبعاد وتحديات، بقي السؤال المهم: ماذا يجب علينا أن نعمل؟

١- (الوحدة .. الوحدة) على العلماء والدعاة في جزر القمر أن يضعوا اختلافاتهم جانبا وإعادة النظر في علاقة بعضهم مع بعض، والعمل على تجاوز الخلافات الوهمية أو القائمة على سوء الفهم، والاجتماع على كلمة سواء ونصرة بعضهم البعض ولتوحيد الجهود والتنسيق بينهم والتعاون لدرء هذا الخطر وغيره من المخاطر التي تهدد هوية البلاد، فلا يمكن مواجهة هذه التحديات بجهود فردية.

٢- انشاء هيئة خاصة باسم (الهيئة القمرية لنصرة الصحابة وأهل البيت) تهدف إلى توعية المجتمع والتعريف بالصحابة ونشر فضائلهم ومحبتهم، وتأهيل دعاة متخصصين في هذا المجال والعمل على تفريغهم لأجل الصد عن التشيع وللدعوة إلى الله.

٣- رصد ومتابعة تحركات الشيعة ومخططاتهم وتجمعاتهم وبيان ذلك للآخرين وخاصة لمن بيده القرار، وذالك باستخدام كل السبل الممكنة لأجل ذلك.

٤- الاستفادة من الوسائل الإعلامية الموجودة وتطويرها لنشر الدعوة الإسلامية ولبيان خطر التشيع والمد الإيراني في المجتمع ، ولرفع مستوى الوعي الديني.

٥- ايجاد مركز أو معهد خاص لتدريب الدعاة والمعلمين وإعدادهم، ليتصدرو لخطر التشيع وليقوموا ببيان خطره على المجتمع بالوسائل الصحيحة.

٦- تكثيف الدورات العلمية، في بيان عقائد الشيعة وخطرها والتعريف بالصحابة وفضائلهم.

٧- ترجمة الكتب باللغة الفرنسية واللغة القمرية (بلهجاتها الثلاث) التي تبين بطلان عقائد الشيعة وتوضح حياة الصحابة وفضائلهم، وتوزيعها مجانا.

٨- تنظيم القوافل الدعوية بين الجزر وفي القرى

التي لا يوجد فيها دعاة لنشر الوعي الإسلامي وبيان خطورة التشيع، ويا حبذا لو صاحبَ هذه القوافل أطباء يقومون بتقديم خدمات علاجية مجانية في المناطق التي ينزلون فيها.

٩- توفير الخدمات الإنسانية الضرورية للمحتاجين لما له من التأثير في نفوس البشر.

١٠- تنظيم المسابقات العلمية (في فضائل الصحابة وسيرهم) وتقديم الجوائز التي ترغب الناس للمشاركة فيها.

١١- أن يتفرغ بعض العلماء المتخصصين لمحاورة هؤلاء المتشيعين ومناظرتهم.

١٢- عدم التغافل عن التحديات التي تواجه الهوية الإسلامية في جزر القمر والتي لا تقل خطرا عن التشيع، كالتنصير والانحرافات السلوكية والأخلاقية المنتشرة في المجتمع، بل لا بد من مواجهتها كلها إضافة إلى المنظمات والهيئات التي تهدد هويتنا.

١٣- لا بد على العلماء والدعاة في جزر القمر أن يراجعوا موقفهم من المشاركة في العملية السياسية أو إنشاء التجمعات السياسية، فهناك أهمية أكثر من أي وقت مضى لأن يكون هناك كيانات سياسية أو تشجيع وتفعيل الكيان الموجود، فلا يمكن للعلماء والدعاة والمخلصين أن يتركوا البلد لأهل الأهواء والشهوات يفعلون بها ما يريدون، فما داهمتنا هذه الكارثة إلا عبر بوابة السياسة والسلطة، ولا يمكن إخمادها نهائيا إلا من خلال البوابة نفسها.

١٤- تفعيل دور المؤسسات التعليمية والتربوية الإسلامية وتطوير أداء التعليم الشرعي لرفع الوعي الإسلامي، ووضع مقرر خاص يتناول سيرة الصحابة وفضائلهم، ويبين خطر الشيعة وفساد عقائدهم.

١٥- التواصل مع جمهور الناس وإقامة جسور التعاون على البر والتقوى مع شرائح المجتمع المتعددة والاعتناء بهم، كالخطباء ومعلمي الكتاتيب، والأعيان، والسياسيين، والفرق الرياضية، ومراكز الشباب، ومنظمات المجتمع المدني وجمعيات المرأة ونقابات المهن المختلفة، وأن يكون هناك تواصل وتعاون بينهم وبين العلماء في هذه القضية وفي القضايا الأخرى التي تحتاج إلى تضافر أبناء الشعب، ل رفع الوعي الإسلامي فيهم وإبراز مسئوليتهم.

١٦- تنظيم مؤتمر دعوي سنوي يهدف إلى مناقشة مسيرة الدعوة في البلد ويتم من خلاله مناقشة القضايا الدعوية وكل المستجدات التي تطرأ على الساحة من الناحية الشرعية.

١٧- لا بد من إيجاد أوقاف استثمارية خاصة كمصدر أساسي للمشاريع الدعوية في جزر القمر أو خارجها لتمويل البرامج الدعوية وأنشطتها، فلا يمكن أبدا أن تعتمد الأنشطة الدعوية في جزر القمر كلها على الدعم الخارجي غير المضمون، وبدون مصادر ثابتة، ولهذا فأنا أدعو جميع المنظمات والخيرين الذين يهتمون بالشان الدعوي في جزر القمر أن يعلموا الدعاة في جزر القمر الصيد لا أن يعطوهم السمك.

١٨- على الحركة الإسلامية في جزر القمر وحزبها السياسي أن يقوما بدورهما الطبيعي والشرعي، وأن يتقدما الصفوف وأن يقدما المبادرات لمواجهة هذا الخطر الذي يهدد العقيدة والهوية الإسلامية في البلد، وأن ينفيا عمليا التهم التي توجه إليهما في موقفهما مع التشيع.

١٩- لا بد من مواصلة الضغوط بكل أشكالها من خلال الإعلام أو المظاهرات والاعتصامات وغيرها لإغلاق المؤسسات الإيرانية في البلد أو مراقبة أنشطتها، ومحاولة إيجاد بدائل عملية لسد ثغراتها في حين تم إغلاقها أو مزاحمتها فى مجالات عملها.

٢٠- على كل علماء المسلمين، وعلى كل المنظمات والهيئات الإسلامية، وعلى كل الخيرين والمحسنين في كل البلاد العربية والإسلامية أن تساعد جزر القمر ماديا ومعنويا للخروج من هذه المشكلة التي تهدد دينها وهويتها، وعلى رأسها إنشاء قناة إسلامية باللغة القمرية.

وختاما: إن العمل للحد من خطر التشيع وغيره من الحركات التي تستهدف هويتنا الإسلامية هو من مسئولية الدعاة والعلماء – قبل كل أحد- وعليهم أن يقوموا بدورهم الطبيعي والشرعي الذى أنيط بهم فالوضع جد خطير وفي ظل بقاء هذه المعطيات فسيكون الأمر أخطر، فالشيعة والدولة الإيرانية قد جهزوا كل الامكانيات لإنجاح مشروعهم، وهم يعملون بخطة مدروسة، ولكن الإسلام لم ولن يضيع إلا بسبب أبنائه إما بتقاعسهم عن أداء دورهم، وإما باختلافاتهم وبتشرذمهم، فياعلماء الأمة ويا دعاة الإسلام: أنقذوا الإسلام في جزر القمر (ولا ينقص الدين وأنتم أحياء).

مصر والشيعة
بين صراع الماضي وخطر المستقبل

عرض: أسامة شحادة(*)- خاص بالراصد

صدر هذا الكتاب مؤخراً بالقاهرة عن مركز التنوير للدراسات الإنسانية للدكتور حمدى عبيد أحد المتخصصين بالشؤون الإيرانية والفرق الشيعية، ولعل هذا هو كتابه الأول الذي يطرح للجمهور برغم أنه أعد عددا من الدراسات القيمة والمهمة في هذا الباب ولكنها لم تطبع بعد.

جاء هذا الكتاب في ٤٥٠ صفحة من القطع الكبير في تمهيد سريع حول مصر في الإسلام مكانة وعطاءً، وبابين: الباب الأول استعرض فيه مسار مصر مع التشيع في الماضي، وكان الباب الثاني حول مصر والتشيع في المستقبل.

الكتاب يكاد يكون موسوعة متنوعة في موضوعه فهو قد تناول الجوانب العقدية والفقهية والتاريخية والسياسية للموضوع وما يرتبط به بلغة سلسة، وربط تجربة مصر بتجارب الدول الأخرى حتى تكتمل الصورة وتتضح الرؤية، مما يساعد على استشراف المستقبل ومعرفة القادم في علاقة مصر بالتشيع.

تأتي أهمية الكتاب من عدة جوانب، أولها: كونه حدث الساعة اليوم في مصر والعالم العربي، فالجميع ينتظر مآل المحاولات الإيرانية لاختراق مصر عبر حكم الإخوان المسلمين، وثانيها: مؤلفه المتخصص والذي جمع شتات الموضوع وقدم شيئا جديداً فيه بخلاف الكثير من الكتب السطحية والمكررة، وثالثها: كمية الحقائق والمعلومات الجديدة مع حُسن ربطها وتوظيفها، مما جعل من مطالعة الكتاب حاجة لازمة لكل مهتم وباحث في هذا المجال.



في الباب الأول طاف بنا المؤلف في أربعة فصول أو محطات رئيسية هي:

١- مصر وأهلها عند الشيعة: استعرض فيه روايات الشيعة تجاه مصر وهي روايات مكذوبة على أئمة آل البيت تزدري مصر وأهلها من منطلقات عصبية وعرقية

(*) كاتب أردني.

يتنزه آل البيت عنها.

ثم تناول بعض مواقف الشيعة من علماء مصر المعاصرين بما يكشف عن نفاق الشيعة بادعائهم الحرص على الوحدة والتقارب مع الأزهر والسنة، فكشف عن اتهامات الشيعة لعلماء مصر والأزهر بتحريف الكتب السنية كالبخاري وغيرها خوفاً من انتشار التشيع!!

وفضح تهجمهم على الشيخ محمد أبو زهرة لكونه فند مزاعمهم وأكاذيبهم على أئمة آل البيت بروايات تحريف القرآن وربوبية الأئمة وغيرها. وبين المؤلف دناءة الشيعة وخسّتهم حين تهجموا على العلامة الشعراوي واتهموه بما سبق أن اتهموا الفاروق عمر به رضي الله عنه من كونهما والعياذ بالله يتعالجان بماء الرجال!!

وكذلك استعرض مواقف الشيعة الإيرانيين والمتشيعين المصريين من جماعة الإخوان المسلمين الذين كالوا لهم الاتهامات ووصفهم بانهم إخوان الشياطين وأنهم خونة وعملاء وأنهم أصحاب فكر التكفير وهكذا. وأيضاً اتهامهم للشيخ القرضاوى بأنه ماسوني عميل للصهيونية!!

وتناول في مبحث خاص علاقة آل البيت بمصر فكشف عن العلاقة الوطيدة لآل البيت بمصر، فقد توجه كثير من آل البيت بعد نكبة الحسين رضي الله عنه إلى مصر هرباً من خيانة شيعة العراق وابتعاداً عن الشام وسطوة يزيد، وكانوا محل التكريم والحفاوة، وبعد هذا كيف نصدق روايات الشيعة بذم مصر وأهلها؟ ولكنها العصبية الطائفية والقومية الفارسية البغيضة.

٢- موقف الشيعة من الأئمة الأربعة والمنتسبين لهم: استعرض فيها تكفير الشيعة للأئمة الأربعة وتلاميذهم وكذلك تهجم وتكفير الشيعة للأشاعرة والصوفية وعموم أهل السنة.

٣- عندما حكم الشيعة مصر: فبين ما قامت به الدولة الفاطمية من انحرافات وجرائم ومظالم تجاه المصريين، وبيّن أنهم اعتمدوا على استغلال الفكر والقضاء وصبغ الحياة بمظاهرهم.

وفصل في عقائد الدولة الفاطمية الإسماعيلية والتي يجهلها كثير من الباحثين فضلاً عن العامة.

٤- مواقف المصريين العلمية والعملية لمقاومة الفاطميين: وهذا من أمتع فصول الكتاب وهو جديد في بابه، ويحتاج إلى مزيد من التطوير والتوسع في كتاب مستقل، حيث استعرض جهود علماء مصر في صد التشيع، وجهود المصريين من العامة بالأشعار والنكات لمقاومة التشيع والفاطميين.

أما الباب الثاني والذي يعالج قضية خطر التشيع على مصر بالمستقبل فقد تناول فيه المحاور التالية:

١- خطر التشيع على العقيدة والشريعة الإسلامية بتحريف العقائد وتبديل الشرائع وذكر نماذج عديدة.

٢- خطر التشيع على نسيج الأمة الاجتماعي، وتناول فيه أثر التشيع على قضايا الزواج والمتعة والتقية في تفتيت المجتمع وشطره من جهة، وقضايا الفتن والحروب الأهلية التي يتورط فيها التشيع دوما نتيجة لهذه العقائد والشعائر والسلوكيات الطائفية، واستعرض مسيرة الشيعة قديما وحديثا في الفتن والحروب الأهلية والطائفية والخيانة للأمة بالتعاون مع أعدائها ضدها.

٣- استعرض تفصيلياً محاولة الفاطميين قديما لطمس الهوية السنية لمصر.

٤- كشف عن معالم استراتيجية الشيعة اليوم للتغلغل في مصر.

وبالختام أكرر النصيحة للمهتمين لقراءة هذا الكتاب لما فيه من ربط الحاضر بالماضي وربط السياسة بالعقيدة مما ينير الرؤية ويوضح العقدة الخفية في سياسات إيران، لمن أراد أن يفهم الحقيقة على حقيقتها ويتعامل مع الشيعة على نور وبصيرة.

المد الشيعي في مصر...
آليات التغلغل وطرائق المدافعة

صدر منذ أيام عن «مركز الاستقامة للدراسات الاستراتيجية» كتاب«المَدُّ الشيعِيُّ في مِصر... آليَّات التغلغُل وطَرائِق المُدافَعة» للكاتب والباحث الهيثم زعفان، حيث يأتي هذا الكتاب في توقيتٍ زادت فيه المخاوف من التغلغل الشيعي في المجتمع المصري بعد ثورة يناير وما صاحبها من تداعيات سياسية، ومحاولة فتح الباب للتطبيع مع الكيان الفارسي الراعي لهذا المذهب الفاسد من قِبَل بعض الأصوات السياسية المصرية، مؤكداً في ذات الوقت على أن الحديث عن المد الشيعي واللعبة الإيرانية ينبغي ألا يكون من باب التهويل؛ فنعطي الشيعة أكبر من حجمهم، ولا من باب التهوين فتموت معه سُنة الدفع، ولكن ينبغي أن يكون موضوعيًّا مركزًا في صد آليات اختراقه للمجتمعات السنية، ومحاولات فتحه للثغرات في جدرانها، وفي ضوء ذلك يلقي الكتاب الضوء على بعض الثغرات التي يحاول الشيعة النفاذ منها إلى قلب المجتمع المصري السني ومنها مسألة السياحة الدينية وزيارة الأضرحة حيث يفجر الكتاب الكثير من المفاجآت في علاجه لتلك الثغرة من خلال الإثبات البحثي لوهمية كثير من الأضرحة التي يدعي الشيعة أنهم بنوها في مصر ليتناول بحثياً أكذوبتي دفن رأس الحسين والسيدة زينب رضي الله عنهما في مصر.

ليختم هذه الجزئية بإطلالة على أبرز مكان سياحي ديني يمكن أن يزوره المصريون في إيران حال التبادل السياحي وهو ضريح الهالك أبي لؤلؤة المجوسي قاتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حيث يبن الكتاب تفصيلاً كيف يحتفي الشيعة بهذا المزار السياحي الهام عندهم في إيران.

يتناول الكتاب تفصيلاً أيضاً ثغرة زواج الشيعة العرب من المصريات وكيفية سد هذه الثغرة التي تقع فيها العديد من الأسر المصرية دون أن تشعر.

يتحدث الباحث في كتابه بكثير من الاستفاضة البحثية عن ثغرة الفضائيات الشيعية في البيوت السنية من حيث عددها وهويتها وفلسفتها وتحليل محتوى أطروحاتها وبخاصة فضائيات الأطفال الشيعية، ويقدم أطراً من الحلول التي يمكن توظيفها في عملية مواجهتها.

وفي ذات الإطار يتحدث الباحث عن ثغرة الدراما الشيعية وما قد تحدثه من خلخلة لعقيدة المصريين ليحلل محتوى بعض المواد الدرامية الشيعية لإثبات خطورتها على الهوية والعقيدة ويقدم حلولاً عملية لمواجهتها.

الكتاب يلقي الضوء أيضاً على الكثير من القضايا الشائكة في مسألة المد الشيعي مثل قضية الصحابة رضوان الله عليهم وكيف يمكن تقويض الشيعة من ملاعبة مصر بهذه الورقة الخطيرة، وثغرة زواج المتعة المهلكة وكيف أنها والخمس رفقاء للمد الشيعي. ليقف الباحث بطريقة مركزة مع التمويل الشيعي والطابور الخامس في الجدار المصري.



ويلقي الكتاب بظلاله على الدفاع الأممي عمّا يدعونه حقوقاً مسلوبة للشيعة في مصر، وكيف تورط بعض أبناء الداخل في هذا الدفاع الباطل. ليختتم الباحث كتابه بتبيان موقف كبار دعاة التقريب مع الشيعة وكيف تبدل موقفهم من الشيعة بعد أن لمسوا بأيديهم ورأوا بأعينهم محاولات المد الشيعي للتغلغل في المجتمع المصري فأطلقوا صيحات النذير حتى لا تراق الدماء الطائفية في مصر على غرار العراق واليمن وسوريا.

الكتاب دراسة بحثية موضوعية متعمقة يقع في ١٠٤ صفحة من القطع الكبير، ويكشف ثغرات تغلغل المد الشيعي في مصر، ويضع الحلول العملية الاستراتيجية لمواجهتها على المستويين الرسمي والشعبي.

الحوار على الطريقة الشيعية

قــالوا: فريــق جمعيــات المعارضــة الــسياسية فريــق معطــل علــى طاولــة الحــوار «لا يريــد التقــدم ولا يريــد الــدخول في جــدول الأعمــال... لا بــد مــن حــسم المهزلــة الــتي تتكــرر علــى مــدى ١٦ جلــسة ومــن لديــه نقــاط فليدخل فيها مباشرة».

الشيخ خالد آل خليفة
وزير العدل البحريني –
الشرق الأوسط ٢٠١٣/٥/٩

جنس إسلامي!

قــالوا: انتــشار أقــراص إيرانيــة مدمجــة لتعلــيم الجــنس علــى الطريقــة الإســلامية، في شــارع الجمهورية وسط بغداد.

مواقع الإنترنت ٢٠١٣/٤/١٨

سبقك بها ابن جبرين!

قــالوا: «هــو (نــصرالله) يــتهمني بــأنني أدعــو لقتــل المدنيين، أنــا لا يمكــن أن أدعــو لــذلك بــل أدعــو لقتــال مــن يقتــل المــدنيين.. هنــاك مــدنيون يتخفــون بثيــاب مدنيــة، هــؤلاء هــم الــشبيحة وهــم يجــب أن يقتلــوا، نــرفض قتــل المــدنيين وإذا قتــل بعــضهم فهــذا مــن ضروريات الحرب ونحتسبهم من الشهداء».

واعتــبر أنــه مــا مــن مكــان في حــزب الله للخــير والــدين والله لأنــه يقاتــل في ســبيل الطــاغوت بــسوريا، ووصــفه بأنــه حــزب الــشيطان حــزب الــشر حــزب الطغيــان، مــضيفاً أن نــصر الله «وقــف يبــاهي بأنــه ســيبعث الآلاف مــن جنــوده ليقــاتلوا في ســوريا.. ســيهزمه الله ويأخــذه أخــذ عزيــز مقتــدر لأنــه يقاتــل في سبيل الطاغوت».

الشيخ يوسف القرضاوي،
مفكرة الإسلام ٢٠١٣/٥/٣

سفير يحلل راتبه!

قــالوا: وفــد عــشائري ضــم ٢٠ شــيخا مــن وجهــاء مدينــة معــان (جنــوب الأردن) مــع عــدد مــن رجــال الأعمــال التقــوا الــسفير الإيرانــي مــصلح زادة، وأنّ «البحــث تركــز حــول توســط بــلاده لــدى العــراق لإطــلاق المعــتقلين الأردنــيين الـــ١٧ المتواجــدين في الــسجون العراقيــة، وعلــى رأســهم المعتقــل إبــراهيم ســليمان الــسعودي». ووجــه الــسفير لهــم دعــوة لزيــارة طهران.

البيان الإماراتية ٢٠١٣/٤/١٨

سؤال وجيه

قــالوا: لمــاذا هــبّ المجتمــع الــدولي ضــد «جبهــة النــصرة» في ســوريا بينمــا لم يفعلــوا الأمــر نفــسه تجــاه «جبهــة» حــسن نــصر الله، الوجــه الآخــر لـــ«القاعــدة»، حيــث يعربــد رجالــه بــسوريا، ويــا لهــا مــن مفارقــة فهــا هــي الــسلطات الكنديــة تعلــن إحبــاط عمليــة إرهابيــة كانــت تــستهدف قطــارا للمــسافرين يقــف خلفهــا تنظيم القاعدة، وبإشارة ممّن؟ الأراضي الإيرانية!

والعجيــب، والمحــير، أن الــشرطة الكنديــة تقــول: إن المــتهمين بالتــآمر علــى شــن هجــوم إرهــابي كــان يــستهدف قطــارا للمــسافرين بــين مدينــة تورينتــو الكنديــة ونيويــورك تلقيــا مــساندة ودعمــا مــن عناصــر لـــ«القاعــدة» في إيــران، لكنهــا، أي الــسلطات الكنديــة، لم تجــد دلــيلا علــى تــورط النظــام الإيرانــي

نفسه! وهذا يدفع المتابع للتساؤل: متى يفيق الغرب من هذه السطحية في التعامل مع إيران وعلاقتها بـ«القاعدة»؟ فهل يعتقد الغرب، سواء أميركا أو كندا، أن أعضاء تنظيم القاعدة يقيمون في إيران بضيافة سنة إيرانيين، مثلا، بعيدا عن أعين النظام؟ هراء!

طارق الحميد –

الشرق الأوسط ٢٠١٣/٤/٢٤

لا تعليق!

قالوا: يجد رجال الدين والعمال والمثاليون الذين تقدموا لخوض الانتخابات الباكستانية يوم السبت لأول مرة أنفسهم ينافسون مرشحين ينتمون لفئة المتحولين جنسيا في بلد شديد المحافظة.

إيلاف ٢٠١٣/٥/٩

من يتعظ؟

قالوا: من أراد أن يشاهد مصر بعد عشرين عاما من الآن، ومن أراد أن يعرف الثمرة المستقبلية لتقصير العرب اقتصاديا مع مصر والخطأ الجسيم الذي ارتكبته الرئاسة المصرية في التقارب مع إيران فلينظر إلى ما يفعله الشيعة في السودان، فما هي إلا نفس الظروف الاقتصادية بنفس المنهج الشيعي في اللعب على وتر الشهوات وفتح الأبواب للدراسات العليا في جامعات طهران، فبنفس المقدمات ستحدث دوما نفس النتائج.

مركز التأصيل للدراسات والبحوث

٢٠١٣/٥/٦

أذناب بشار في غزة

قالوا: حشدت الجبهة الشعبية بالتحالف مع الحزب الشيوعي عشرات الأشخاص في خان يونس بغزة البالغ تعدادها أربعمائة ألف شخص، عشرات الأشخاص رفعوا صورة بشار الأسد، واحتموا بشعارات تحرير فلسطين، ولولا تدخل الشرطة الفلسطينية السريع، لتم تمزيق أنصار بشار الأسد من قبل الناس.

موقع الحقيقة ٢٠١٣/٥/٩

الحقيقة التي يخشونها

قالوا: إن أكثر من ثلاثة أرباع المسلمين في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا وجنوب آسيا وجنوب شرق آسيا يريدون محاكم الشريعة للبت في قضايا قانون الأسرة مثل الطلاق ونزاعات الملكية.

ويقول ٧٥ بالمئة إن الإجهاض خطأ أخلاقيا ورفض ٨٠ بالمئة أو أكثر المثلية الجنسية وممارسة الجنس خارج إطار الزواج.

وتتباين وجهات النظر بشدة حول ما إذا كانت المرأة يجب أن تقرر بنفسها ارتداء الحجاب إذ يوافق على ذلك ٨٩ بالمئة في تونس و٧٩ بالمئة في إندونيسيا بينما يرفضه ٤٥ بالمئة في العراق و٣٠ بالمئة في أفغانستان.

وقالت أغلبية - من ٧٤ بالمئة في لبنان إلى ٩٦ بالمئة في ماليزيا- إن الزوجات عليهن طاعة أزواجهن دائما.

ورأت أقلية أن التوترات بين السنة والشيعة مشكلة كبيرة جدا وقد بلغت النسبة ٣٨ بالمئة في لبنان و٣٤ بالمئة في باكستان و٢٣ بالمئة في العراق و١٤ بالمئة في تركيا.

مركز بيو - المصريون ٢٠١٣/٥/١

وعي ناضج

قالوا: ٨١ ٪ من المصريين يرفضون التطبيع مع إيران.

جريدة الوادي الجديد ٢٠١٣/٤/٨

من تنزانيا

قالوا: التشيُّع خطر داهم، لا يقل خطورة عن التنصير في تهديده للوجود الإسلامي في تنزانيا، ولا يقل عنه في الإمكانات الضخمة التي يدعم بها وجوده، ولكنه في زنجبار ليس قوياً، وقليل من الشباب من يتشيع، ولديهم مراكز كبيرة، ومذاهبهم المنتشرة هي «الجعفرية» وإذا مررت في شوارع تنزانيا تلاحظ بيوتاً مكتوباً عليها «يا حسين»، فالمسلمون إذن يقعون بين سندان التشيُّع ومطرقة التنصير.

الشيخ مبوانا أراري، مسؤول الدعوة بهيئة علماء المسلمين في تنزانيا

مجلة المجتمع ٢٠١٣/٥/٤



مفارقات مؤتمر بغداد للحوار والتقريب!!

أسامة شحادة – الغد ٢٠١٣/٥/٣

انتهت فعاليات المؤتمر الدولي للحوار والتقريب في بغداد مؤخراً، هذا المؤتمر الذي لم يفهم أحد من الجهة التي نظمته، ولا من حضره وشارك فيه، ولا السبب الداعي له!! فبرغم البحث المتكرر على شبكة الإنترنت لم أجد للمؤتمر صفحة خاصة به، ولم أجد تقريراً يوضح الجهة الداعية له في العراق، ولم أجد أيضاً أسماء المشاركين فيه!!

فكل الذي وجدته معلومات ضبابية على غرار أنه تم برعاية رئاسة الجمهورية، وأن نوري المالكي رئيس الوزراء ألقى فيه كلمة، وأنه حضره ٣٠٠ شخصية من ٤٠ دولة، هكذا دون تفصيل.

ومع مزيد من البحث تبين ما يلي :

*قاطع المؤتمرَ السنةُ العرب العراقيون مثل رئيس البرلمان أسامة النجيفي، ونائب رئيس الوزراء صالح المطلك والنواب السنة وعلمائهم وقادة العشائر.

*الأزهر أيضاً قاطع هذا المؤتمر وصدر عنه بيان يوضح الأسباب جاء فيه: «إن شيخ الأزهر، لم يشارك في المؤتمر الدولي للحوار الإسلامي والتقريب اعتراضا على ما يتعرض له أهل السنة في العراق»، وبسبب «عدم ظهور أي استجابة لمطالب الأزهر فى إصدار فتاوى لتجريم سب الصحابة»، أما الشيخ حسن الشافعي، مستشار شيخ الأزهر، فقال: «الأزهر باعتباره قلب العالم السني وضع شروطا للتعامل مع العراق، منها وقف المد الشيعي فى البلدان السنية، وكذلك إصدار فتاوى تجرّم سب الصحابة وتنصف أهل السنّة».

*تبين أيضاً أن السعودية وقطر قاطعتا المؤتمر.

*وتبين أن اتحاد علماء المسلمين برئاسة الشيخ يوسف القرضاوي لم يحضر المؤتمر.

*غالب الجماعات الإسلامية وخاصة جماعة الإخوان المسلمين لم تشارك في فعاليات هذا المؤتمر، ومنها كذلك الحزب الإسلامي العراقي.

ويبقى السؤال: من شارك إذا في هذا المؤتمر من السنة؟ ومع من كان الحوار؟ والتقريب بين مَن ومَن؟

الذي عرفته من مشاركة السنة في المؤتمر: وزيرنا للأوقاف بالأردن د. محمد نوح القضاة، ومفتي بشار الأسد أحمد حسون، ومن العراق خالد الملا أحد أزلام نوري المالكي من السنة، وعبدالغفور السامرائي رئيس الوقف السني التابع لحكومة المالكي!!

الطريف في هذا المؤتمر أنه بعد فشل مؤتمرات التقريب التي كانت ترعاها إيران جاء الدور على بغداد أو نظام المالكي في بغداد ليحمل هذه الراية التي أعلن وفاتها منذ عدة سنوات الشيخ القرضاوي، وكشف أنها تحولت إلى أداة للتغلغل الإيراني بين شعوب الدول العربية السنية.

وتخلل هذا المؤتمر عدد من المفارقات الغريبة، منها:

–أن سنة العراق منذ أربعة أشهر وهم في الشارع والمالكي يرفض أن يحاورهم بشكل جدي!

–قبل المؤتمر بأيام تعرض المعتصمون والمحتجون السنة لحوار بالرشاشات والطائرات في الحويجة، من قِبل قوات إيرانية بزي عراقي كما جاء في بيانات وتصريحات قادة الحراك العراقي.

–في ليلة المؤتمر تم الاستيلاء على مسجد فرج علي الصالح ببغداد وهو أحد مساجد السنة من قبل القوات الخاصة «سوات» وتم تسليمه للوقف الشيعي!!

–عقب المؤتمر بيومين تم إغلاق ١٠ قنوات فضائية بحجة نشرها للطائفية، في تجسيد حي لمفهوم الحوار والتقريب المطلوب.

أما ما تم طرحه في المؤتمر والتوصيات التي خرج بها فهي من المضحك المبكي في نفس الوقت، فبحسب التقارير الصادرة عن المؤتمر فإنهم دعوا إلى الحوار والبحث عن المشتركات للتقريب بين المذاهب الاسلامية، مؤكدين ضرورة تشكيل لجنة لتنفيذ ومتابعة توصيات المؤتمر لجمع شمل الأمة العربية بصورة علمية وواقعية.

وكأن هذا المطلب جديد أو اكتشاف عظيم، أين ذهبت مقررات مؤتمرات التقريب السابقة؟ ولماذا لم تحقق المطلوب؟ هل يمكن أن يجيبنا أحد؟

عن أي مشتركات تتحدثون ونحن نشاهد اصطفافاً شيعياً لا يتخلف عنه هيئة شيعية لها ثقل حقيقي في أي مكان خلف المرشد الإيراني لدعم المجرم بشار الأسد؟!

كيف تتحدثون معنا عن المشتركات وأيديكم ملوثة بدماء السوريين والعراقيين والفلسطينيين واللبنانيين وغيرهم؟!

أليس غريباً أن يتم الحديث عن الحوار والتقريب وسط أصوات المدافع وهدير الطائرات وانفجار الصواريخ!! أليس أعجب من هذا دعوة وزير الأردن للأوقاف لفتح المجال للسياحة الدينية الشيعية في مدينة الكرك بخلاف رغبة الأهالي هناك، أين الحوار يا معاليك؟

والأعجب من هذا أن معاليه يبشرنا في حوار مع موقع (خبرني) أنه توصل لاتفاق بين الشيعة والسنة، وهو يعلم أن ما ردده في حواره ثبت بطلانه على أرض الواقع والتجربة من قبل علماء كثيرين وأكبر منه كالشيخ القرضاوي وشيخ الأزهر والدكتور محمد عمارة والدكتور عبدالله النفيسي وهؤلاء ليس فيهم وهابي أو سلفي متعصب ضد الشيعة.

وختاماً أوجه لمعاليه سؤالا أرجو أن يبحث عن إجابته:

لقد قام والدكم عندما كان سفيراً في طهران بوضع تظليل لزجاج سيارة السفارة التي كان يتنقل بها، فهل لك أن تجيبنا عن السبب الذي دعاه لهذا؟ حتى لا تسير في طريق مسدود فتضيع وقتك ولا يحمد فعلك.

السياحة الدينية الشيعية/ الإيرانية بين محمد القضاة وبسام العموش

أسامة شحادة – الغد ٢٠١٣/٥/١٠

أثارت زيارة الدكتور محمد القضاة وزير الأوقاف الأردني لمؤتمر الحوار والتقريب ببغداد وكلمته ونشاطاته هناك عاصفة من الجدل زادها بتوضيحاته ومقابلاته عند عودته لعمان، فقد أصدر حزب الوسط الإسلامي بياناً انتقد فيه القضاة ومما جاء في البيان: «نظر حزب الوسط الإسلامي باستغراب إلى تحركات وزير الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية محمد نوح القضاة باتجاه التطبيع مع الطائفة الشيعية، خاصة بعد زيارته لأضرحة أئمتهم في جنوب العراق وكذلك زيارته لمرجع الشيعة آية الله السيستاني وترحيبه بتفعيل السياحة الدينية الشيعية إلى ضريح الصحابي الجليل جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه.

إننا ونحن ننظر بكل استهجان لمثل هذه الزيارات والتصريحات نتساءل: ألا يعلم معاليه ما يعانيه إخواننا في سوريا من قتل وحشي من قبل النظام السوري بمباركة من مرجعيات الشيعة في النجف وكربلاء وقم، ونعلم كذلك جهود الدولة الصفوية في إيران في تشييع المنطقة بكل الأساليب الترغيبية والترهيبية، عدا عن الدعم العسكري والبشري الذي لا يخجلون من المجاهرة به للنظام الوحشي.

لقد كان بودنا أن يعبر وزير الأوقاف عن ضمير الشعب الأردني فيرفض التطبيع مع غلاة الشيعة وأن يشترط عليهم أن يوقفوا مدّهم ودعمهم للنظام المجرم في سوريا، ويوقفوا كذلك المد الصفوي الذي يريد السيطرة على العالم الإسلامي من خلال التشيع والتمسح بحب آل البيت الكرام».

أما القضاة فردّ على ذلك بتحذير حزب الوسط - الذي كانت تتردد معلومات عن نية القضاة بأن يكون أحد مرشحيه للانتخابات الماضية - من السقوط فريسة الصراعات الإعلامية!!

ويهمنا هنا التركيز على تبني وتشجيع القضاة للسياحة الدينية الشيعية/ الإيرانية، وهو الأمر الذي أكد على تبنيه في لقائه على قناة الحقيقة الدولية ومع برنامج الوكيل مما أثار جدلاً كبيراً.

وموضوع السياحة الدينية له بعد ديني وسياسي، فالبعد الديني يشمل حقيقة الخلاف بين السنة والشيعة وحجمه، وهل هذه فعلاً سياحة دينية مشروعة؟ وهل تتصادم هذه السياحة الدينية الشيعية/ الإيرانية مع عقائدنا وشعائرنا أم لا؟ وعلى كل هذا سجال لا نريد أن نخوض فيه الآن، ولنقصر حديثنا على البعد السياسي من السياحة الدينية الشيعية/ الإيرانية، ونجمله في النقاط التالية:

١- لماذا تجعل إيران/ الشيعة السياحة الدينية على رأس أجندتها بالتعاون مع الدول السنية مثل الأردن، مصر، العراق، سوريا .... لماذا الحرص على إغراق هذه الدول بطوفان من السياح الإيرانيين/ الشيعة يصل للملايين؟؟

٢- لماذا بالمقابل لا تعد إيران بلدا سياحيا؟ لماذا تنعدم حرية المواطن الإيراني فضلاً عن السائح في إيران، بينما يطلب منا الحرية المطلقة لملايين الإيرانيين في بلادنا؟

٣- هل فعلاً أن الشعب الإيراني قادر على السياحة ويرغب بها، بينما المعروف أنه غير قادر على توفير مستلزمات الحياة! وقد سمعنا عن أزمة الدجاج في طهران قبل مدة والغلاء والتضخم والبطالة التي يعاني منها المواطنون هناك، فمن الذي يحرك هؤلاء السياح ويدفع نفقاتهم ويختارهم؟

٤- ألم تظهر آثار سلبية للسياحة الدينية الشيعية/ الإيرانية على الدول التي قبلت هذه السياحة، ففي العراق وجدنا أنهم بحجة السياحة قاموا بتوطين مئات الآلاف من الإيرانيين في النجف وكربلاء، ومن ثم تحولت لشبه قطعة من إيران، ومن ثم تم السماح لشركات إيرانية خاصة بحماية السياح الإيرانيين في العراق، في شرعنة واضحة للسلاح الإيراني على أرض العراق!

ألم يحدث هذا في سوريا في منطقة السيدة زينب التي أصبحت وكأنها مستوطنة إيرانية فارسية في قلب دمشق العروبة والإسلام؟ ومؤخراً صدر بالقاهرة كتابين يرصدان السياحة الدينية الشيعية /الإيرانية هما: (مصر والشيعة بين صراع الماضي وخطر المستقبل) عن مركز التنوير للدراسات الإنسانية للدكتور حمدى عبيد، و(المَدُّ الشيعِيُّ في مِصر.. آليَّات التغلغُل وطَرائِق المُدافَعة) عن مركز الاستقامة للدراسات الاستراتيجية للكاتب والباحث الهيثم زعفان.

٥- أليس قد ثبت أن الإيرانيين واللبنانيين الشيعة شاركوا في قتل الشعب السوري الثائر تحت غطاء السياحة الدينية الشيعية لسوريا، وقد ألقي القبض عليهم من قبل الجيش الحر ؟؟

٦- ألـيس باسـم حمايـة المـزارات الـسياحية الدينيـة الـشيعية قـام شـيعة العـراق (لـواء اليـوم الموعـود – لـواء أبـي الفـضل العبـاس)، وشـيعة لبنـان (حـزب اللّه ورئيـسه) بالتـدخل العـسكري العلـني بحجـة حمايـة هـذه المـزارات لـدعم إجـرام قـوات الأسـد ضـد الشعب السوري ؟

هـذه أسـئلة أوجّهـا للـدكتور القـضاة وأنتظـر إجابتهـا منـه، هـل نحـن أمـام سـياحة دينيـة بريئـة أم نحـن نواجـه غـزو عـسكري سـافر لا يعـترف بـسيادة وطنيـة أو علاقـات طبيعيـة متبادلـة ؟ بـدلاً مـن حديثـه المرسـل في العموميـات و(الينبغيـات) وهـو يتعـامى في ذات اللحظـة عـن أنهـار الـدماء وأكـوام الجثـث والأشـلاء الـتي تتكـاثر بمـرور الأيـام بـسبب تقـاعس أمثالـه مـن الـدعاة مـن الـصراحة والوضـوح مـع المجـرم الـذي يغتـصب ويـذبح ويفجـر بـدون رحمـة ثـم يـدعونا للحـوار والتقريـب تحـت المكيفـات وفي فنـادق الخمـس نجوم!!

وأخـتم هـذه المقالـة برؤيـة الـدكتور بـسام العمـوش للـسياحة الدينيـة الـشيعية الإيرانيـة وميـزة هـذه الرؤيـة أنهـا تـصدر مـن شـخص شـغل منـصب الـسفير الأردنـي في طهـران وعُرضـت عليـه قـضية الـسياحة، وقـد عـرض العمـوش هـذه الرؤيـة في حـوار علـى قنـاة العباسـية ومنـشور في موقـع اليوتيـوب قـال فيـه: «طلـب الإيرانيـون تـشجيع الـسياحة الدينيـة، يعـني يريـدون إقامـة مطـار في الكـرك مـن أجـل جعفـر بـن أبـي طالـب رضـي اللّه عنـه، وكـل يـوم يـأتي ألـف زائـر، وكـل النـاس يعرفـون أن الحـاج الإيرانـي يـأتي ويـذهب لدمـشق بـــ ٥٠ دولارا، يعـني مجانـاً علـى حساب الدولة.

وهـذا ماكـانوا ينـوون عملـه هنـا، كـل يـوم ألـف سـائح يعـني حركـة فنـادق ومطـاعم، إغـراءات اقتصادية كبيرة جداً.

كـان جـوابي أنـا لا أملـك هـذا القـرار لكـن أنـا أشـجعه، لكـن أنـتم كنـتم تـذهبون للحـج وتحولـون الحـج لمظـاهرات فاصـطدمتم بالـسعودية ودفعـتم الكلفـة: ٤٠٠ إنـسان قتلـوا، ولكـن بعـد توقيـع الاتفاقيـة الأمنيـة مـع الـسعودية أصبحـتم تحجـوا عـادي وتعودا عادي وانتهى الأمر.

إذا أردتم علاقـة مـع الأردن تفـضلوا وقعـوا اتفاقية مع الجهات الأمنية».

وأتـرك القـارئ يقـارن بـين رؤيـتي القـضاة والعمـوش لقـضية الـسياحة الدينيـة ويقـرر موقفـه بناء على قناعاته الذاتية.

أهل السنة في البحرين: عناصر القوة والضعف

مدونة عمر خليفة راشد – ٢٠١٣/٤/٢١

لـيس مـن الحتمـي إضـفاء صـفة (قـوة) أو (ضـعف) علـى عنـصر مـا بـصفة قطعيـة مـستمرة، بمعنـى أنّ عنـصرا مـا قـد يتـأرجح بـين القـوة والـضعف، حـسب الظـروف المكانيـة والزمانيـة، وحـسب قابليـة الطـرف الموصـوف، مـن حيـث قدرتـه علـى إبقـاء عنصر القوة فعالا بحيث لا يتحول إلى عالة عليه !

أولا: عناصر القوة

الكثافـة العدديـة، نـسبة أهـل الـسنة والجماعـة تبلغ حوالي نصف السكان من المواطنين.

الانتمـاء إلى الأمـة، أهـل الـسنة ليـسوا طائفـة مـن الطوائـف، ولا يجـوز اسـتعمال عبـارة (الطائفـة الـسنية) لوصـف أهـل الـسنة في أي بلـد كـان. نحـن أمـة الإسـلام وورثتـه، والـشيعة هـم طائفـة مـن الطوائـف والفِـرَق والنِّحَـل. نحـن لنـا جـذور تمتـد عـبر التـاريخ إلى يـوم نـزول الـوحي علـى قلـب رسـول اللّه ﷺ، ولنـا امتداد عبر الجغرافيا من إندونيسيا إلى موريتانيا!

الانتمـاء إلى الكيـان الخليجـي العربـي، الـذي بـالرغم مـن ضـعفه – كمـا سـنذكر لاحقـا – إلا أنـه لعـب دورا حاسمـا في القـضاء علـى فتنـة ١٤ فبرايـر ٢٠١١م الـصفوية. وقـد كـان دخـول قـوات درع الجزيـرة إلى البحـرين يـوم عيـد بالنـسبة لأهـل الـسنة، وصدمة وكارثة بالنسبة لأتباع الولي السفيه!

الـسلطة الـسياسية، المتمثلـة في الأسـرة الخليفيـة الحاكمـة، وقـدرة هـذه الأسـرة علـى البقـاء في الحكم خلال القرنين الماضيين.

المؤسـسة العـسكرية، مـن خـلال قـوة دفـاع البحـرين بفروعهـا الثلاثـة، الجـيش والبحريـة

والطيران، بالإضافة إلى الحرس الوطني، والقوات شبه العسكرية كالشرطة وخفر السواحل. إن المؤسسة العسكرية تمثل الحصن الحصين وخط الدفاع الأخير للسنة، لذلك يستبسل الشيعة – منذ عقود – للحصول على موطأ قدم لهم في هذه المؤسسة، ولنا مخاوف من أن تنصاع بعض مراكز القرار في الدولة لهم بفعل الضغوط الأمريكية!

قابلية أهل السنة للاستجابة للتحدي. قبل الفتنة الأخيرة، كان الغالب على أهل السنة الغفلة والإهمال والانشغال بسفاسف الأمور، وترك المواجهة للدولة فقط، ولما اندلعت الفتنة رأينا العجب العجاب، والحمد لله أولا وأخيرا، ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ (١٩) ﴾ [الروم: ١٩].

لقد أسدى إلينا الشيعة – من حيث لا يشعرون – خدمة عظيمة، والأمر يستحق أن نرسل برقية إلى سرداب سامراء، نشكر فيها المهدي المنتظر، على الخدمة الجليلة التي قدمها لنا الموالين من أتباعه، بجعلهم أهل السنة يستيقظون من سباتهم العميق!

تجلت الصحوة السنية من خلال أحداث غير مسبوقة في تاريخ أهل السنة في البحرين، أهمها:

تجمع الفاتح العظيم، والذي قدرته وسائل الإعلام بحوالي ثُلث مليون، غالبيتهم العظمى من أهل السنة، وهذا هو أكبر حشد شعبي في تاريخ البحرين على الإطلاق. لقد جرّد هذا الحدث الشيعة من استعمال سلاح (الأغلبية) المزعومة.

نقاط التفتيش التي أقامها شباب أهل السنة في مداخل الأحياء السنية لحماية المواطنين والمقيمين من إرهاب العصابات الصفوية في وقت اختفت فيه قوات الجيش والشرطة من الميدان بقرار من (القيادة الرشيدة)! لقد وضع هذا الحدث حدا لاحتكار شباب الشيعة للميدان منذ ثلاثة عقود.

حركة المتطوعين ردا على دعوة الشيعة للعصيان العام والإضراب عن العمل. لقد ملأ المتطوعون من أهل السنة – رجالا ونساءً – الأماكن التي شغرت في المدارس والمرافق الحيوية الأخرى، ومنهم من طلب إجازة من رب العمل ليقوم بهذا الدور الوطني الشريف، ومنهم من ترك تقاعده ورجع إلى ميدان البذل والعطاء ليسد النقص الحاصل بفعل العصيان. لقد جرّد هذا الحدث الشيعة من سلاح العصيان المدني، الذي كانوا يلوحون به من حين لآخر.

تناست الجمعيات السياسية السنية المتناحرة خلافاتها، خاصة جمعيتي المنبر الإخوانية، والأصالة السلفية، لتقف صفا واحدا في وجه المشروع الصفوي الحاقد، فأصبحت كالبنيان المرصوص، يشد بعضه بعضا.

ثانيا: عناصر الضعف

الدولة الرخوة. يشتكي أهل السنة في البحرين مرّ الشكوى من تخاذل الدولة وميوعتها، واتّباعها لسياسة التراجعات بلا مقابل! من تجليات هذه السياسة:

العفو المستمر عن الجناة والمجرمين من خلال ما يُعرف عندنا بـ (المكرمات الملكية)، التي أصبحت مادة للتندر عند أهل السنة. وكذلك تخفيف الأحكام الصادرة ضد الإرهابيين ليتساوى أمام القضاء قاذف المولوتوف مع سارق علبة شكولاته !!

إرجاع المتآمرين الذين فصلوا من أعمالهم بعد الأحداث الأخيرة إلى وظائفهم معززين مكرمين!

غض الطرف عن بعض كبار المتآمرين من أمثال الشيخ عيسى قاسم (رأس الفتنة)، والشيخ علي سلمان رئيس جمعية الوفاق، بينما جرى القبض على بعض قادة الصف الثاني ممن هم أقل خطورة !

نظن أن اتّباع هذه السياسة الرخوة ناتج عن عاملين: الاستجابة المفرطة للضغوط الأمريكية، ووجود قناعة فكرية خاطئة لدى بعض مراكز القرار بشأن إمكانية إرضاء الشيعة بالرغم مما فعلوه طوال الثلاثين سنة الماضية!

سياسة هدم الذات. لم تتعظ السلطة السياسية في البلد مما جرى! ما زال الفساد متمكنا من مفاصل الدولة، ويزداد شراسة يوما بعد يوم. وما زالت بعض أجهزة الدولة تتبع سياسة أقل ما يمكن أن يقال عنها أنها سياسة (هدم الذات). فوزارة

الثقافة مثلا، ما زالت تقيم فعاليتها السنوية (ربيع الثقافة)، التي تتعارض مع كل قيم المجتمع وهوية الشعب وثقافته. وما زالت إدارة الأوقاف تحاصر الأئمة والمؤذنين السنة وتتعامل معهم بكل عنجهية، وتحاسبهم على كل صغيرة وكبيرة، بينما تغض الطرف عن العمائم الصفوية التي تمارس التحريض على التخريب والإرهاب من فوق منابر المساجد .

ضعف المنظومة الخليجية. بالرغم من بعض النجاحات التي حققها مجلس التعاون الخليجي في عدة مجالات، إلا أن الأمر يستدعي الانتقال من مرحلة (التعاون) إلى مرحلة (الاتحاد)، كما أعلن ذلك خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز في مؤتمر القمة الخليجية بالرياض في ديسمبر ٢٠١١م. ليس للدول الخليجية خيار غير الاتحاد القوي الفعال، وهذا هو الحل المنطقي الوحيد للوقوف أمام إيران وأطماعها التوسعية التاريخية. إن أهل السنة في البحرين – وقد رأوا تأثير قوات درع الجزيرة – هم أكثر الناس رغبة في هذا الاتحاد.

فشل محاولة الوحدة العامة للسنة، إذ أن تجمع الفاتح أثبت من خلال الحشد الهائل يوم ٢١ فبراير ٢٠١١م استعداده للتصدي للمشروع الطائفي، لكن (الشلة الفاشلة) من المشايخ والسياسيين الذين استولوا على مقدرات تجمع الفاتح حولوا مساره من تيار عام جارف يضم كل القوى السنية، إلى مجرد جمعية لا تسمن ولا تغني من جوع، أسموها (جمعية تجمع الوحدة الوطنية). وأصبحت هذه الجمعية مجرد عضو في ائتلاف فضفاض من تسعة جمعيات سنية، تتفق أحيانا وتختلف أحيانا أخرى. وما زال حكماء السنة مطالبون بالعودة إلى الوضع الوحدوي الأمثل الذي ساد أثناء الأزمة.

هذه أهم عناصر القوة والضعف لدى أهل السنة، وقد تعرضنا في مقال سابق لأهم عناصر القوة والضعف لدى شيعة البحرين.

إن طبيعة المعركة وخطورتها تفرض علينا أن نعمل قدر الإمكان على تنمية عناصر القوة لدينا، والعمل على تحجيم عناصر القوة لدى العدوّ.

تحركات حوثية لاستعادة السيطرة على صعدة وإقصاء الآخرين

عرفات مدابش – الشرق الأوسط ٢٠١٣/٥/١١

تشهد مناطق شرق وشمال اليمن تطورات أمنية وعسكرية متواترة وصلت إلى حد المواجهات المسلحة، في وقت أقدم فيه الحوثيون في شمال اليمن على السيطرة على مساجد مدينة صعدة عبر عناصر وميليشيات مسلحة، في حين جرح عدد من الأشخاص في هجوم مسلح على حافلة بمدينة عدن.

وقالت مصادر محلية في صعدة لـ«الشرق الأوسط» إن جماعة الحوثي المتمردة في شمال اليمن قامت بتطويق عدد من المساجد في مدينة صعدة، في إطار المساعي للسيطرة على مساجد المدينة ذات التوجه السلفي. وأضافت المصادر التي رفضت الكشف عن هويتها، أن «جماعة الحوثي تعد لمرحلة جديدة في صعدة التي باتت تحت سيطرتها أمنيا وعسكريا وتسعى إلى الحكم المباشر في المحافظة وإعلانها إقليما حوثيا يتبع ما يسمى (أنصار الله)، وهي التسمية التي دخل بها الحوثيون مؤتمر الحوار الوطني». وأشارت المصادر إلى أن «جماعة الحوثي تحاول افتعال المشكلات من أجل إيجاد مبرر للانسحاب من مؤتمر الحوار الوطني الشامل، بعد أن بدت لهم مؤشرات بفشل مساعيهم لانتزاع قرارات مهمة تضمن لهم إقليما خاصا بهم يشمل محافظات: صعدة، حجة، الجوف وبعض المناطق من محافظة عمران، وبما في ذلك إيجاد منفذ على البحر الأحمر عبر ميناء ميدي قرب الحدود اليمنية - السعودية».

ويبسط الحوثيون سيطرتهم على محافظة صعدة بصورة تامة وعلى أجزاء من محافظة الجوف المجاورة، وحسب مصادر خاصة فإنهم يقومون بصورة يومية بتجنيد عشرات الشباب من المحافظات التي يسيطرون عليها وأيضا من بعض المحافظات الجنوبية، خاصة بعد العلاقات الوثيقة

الـتي ربطـتهم بشخـصيات مـن عـدد مـن المحافظـات اليمنية الجنوبيـة وتعـز وفي الوقـت الـراهن يـسعون إلى الـسيطرة علـى «الحـراك التهـامي» في غـرب الـبلاد، ويمولـون تحركـاتهم هـذه بـأموال باهظـة، في حـين تـرفض المـصادر الحوثيـة التعليـق علـى هـذه المعلومـات بعـد اتـصالات كـثيرة أجرتهـا «الـشرق الأوسـط» مـع بعض الشخصيات.

وجـاءت هـذه التحركـات الحوثيـة في صـعدة مـن قبـل الحـوثيين مـع معلومـات عـن قـرب اسـتقبالهم لجثمـان حـسين بـدر الـدين الحـوثي الـذي سـيأتي إلى الـيمن قادمـا مـن ألمانيـا، حيـث جـرت هنـاك عمليـة فحـص الحـامض النـووي للجثـة والتأكـد مـن هويـة صـاحبها. وتـشير مـصادر محليـة إلى أن الحـوثيين يعـدون لإعـداد جنـازة كـبيرة وضـريح لحسين الحوثي وجعله مزارا في المستقبل القريب.

مـن جانبـه، يقـول الـدكتور العـزي شـريم، عـضو مـؤتمر الحـوار الـوطني الـشامل بـاليمن، عـضو فريـق قـضية صـعدة لـ«الـشرق الأوسـط» حـول المحـاور الـتي سـيبحثها فريـق صـعدة إبـان النـزول الميـداني وفي داخـل المـؤتمر نفـسه، إنهـا «أربعـة محـاور رئيـسة هـي: جـذور قـضية صـعدة، المحتـوى والمظـاهر، الحلـول المقترحـة والمحـور الأخـير هـو ضـمان عـدم تكـرار مـا حـدث مـن أحـداث عنـف وحـروب خـلال الـسنوات الماضيـة»، وفي مـا يتعلـق بجـذور قـضية صـعدة «هنـاك لجنـة مـصغرة مهمتهـا تحديـد توصـيف الجـذور للقـضية ووفقـا لـرؤى المكونـات الـتي قـدمت والوثـائق المطلوبـة مـن المكونـات أو الجهـات ذات العلاقـة». وبـشأن التطـورات الحاليـة علـى الميـدان في صـعدة والاسـتيلاء علـى مـساجد قـال إنـه «إذا صـحت هـذه المعلومـات، فإنـه سـيكون لهـا تـأثير كـبير علـى مجريـات الحـوار الـوطني عمومـا، وعلـى أداء فريـق صـعدة بـشكل خـاص، في محاولتـه لحـل قـضية الـيمن وقـضية صـعدة خـصوصا، وخاصـة أننـا مقبلـون علـى مرحلـة النـزول الميـداني الـتي أقرهـا رئـيس الجمهوريـة، رئيس مؤتمر الحوار».

مـن ناحيـة أخـرى، وجهـت اللجنـة العـسكرية الخاصـة بإعـادة الأمـن والاسـتقرار إلى الـيمن برفـع اللـواء ٣ الـذي كـان يتبـع الحـرس الجمهـوري سـابقا، والـذي كـان يقـوده نجـل الـرئيس الـسابق العميـد أحمـد علـي عبـد اللّه صـالح، وجـاءت هـذه التوجيهـات بعـد اشـتباكات مـسلحة بـين قـوات اللـواء المشار إليـه وقـوات الـشرطة العـسكرية لعـدة أيـام، أسـفرت عـن سقوط جرحى من الجانبين.

في موضـوع آخـر، جـرح ٩ أشـخاص في انفجـار وقـع في حافلـة بمدينـة عـدن، كـبرى مـدن جنـوب الـبلاد، وذلـك أثنـاء قيـام شـخص مجهـول بإلقـاء القنبلة على الحافلة في مديرية «الشيخ عثمان»،

السودان ودعوات مواجهة التشيع

مركز التأصيل للدراسات والبحوث –٢٠١٣/٥/٦

تـاريخ طويـل مـن الغفلـة والإهمـال تعـرض لـه المجتمـع الـسوداني المـسلم، وأدى بـه إلى أن يـصل لهـذه الحـال، فمـا بـين واقـع اقتـصادي شـديد الفقـر وكـثير الأزمـات وبـين واقـع سياسـي لا يحـسن الاختيـار بـين العـدو والـصديق وبـين أفكـار عقائديـة وضـعتها العديـد مـن الطـرق الـصوفية الـتي تـضرب أطنابهـا علـى كـل زاويـة مـن زوايـاه وصـبغت عقيدتـه بهـذه الأفكـار البعيـدة كـثيرا عـن العقيـدة الإسـلامية الـصحيحة، وبـين أعـداء متربـصين مـن النـصارى المـدعومين أفريقيـا مـن إثيوبيـا معقـل النـصرانية وعالميـا مـن الولايـات المتحـدة ودول أوروبـا، وبـين يهـود يحـاولون دومـا تخريـب كـل مـا هـو مثمـر أو منـتج في الـسودان ليظـل ضـعيفا فقـيرا محرومـا مـن إمكانياتـه الكـبيرة ويـستهينون بكرامتـه الـسياسية فيـدخلون ويخرجـون بطـائراتهم ويـضربون المـصانع الـسودانية في العمـق، وبـين عـدو داخلـي اقتطـع جـزء غاليـا مـن الجـسد الـسوداني بتكـوين دولـة الجنـوب الـسوداني بزعامـة نـصارى، هـذه الأزمـات كلـها بينمـا لا يلتفـت العـرب والمـسلمون للـسودان بتقـديم يـد العـون لهـا ويتركونها نهبا لكل ذي مطمع.

وبـالرغم مـن كثـرة هـذه التحـديات وبـالرغم مـن اجتمـاع كـل هـؤلاء الأعـداء الـداخليين

والخارجين أفريقيا ودوليا إلا أن هناك خطر آخر تسلل إليهم تسلل القطا في خفة ومكر وخداع ، حتى ثبت أقدامه فيها وغرس أنيابه، حتى خشي الجميع أن يقال أن السودان كانت دولة سنية مثلما كانت الخشية من الكارثة التي وقعت ويقال الآن إننا شهدنا يوما كانت السودان فيه دولة واحدة وكانت اكبر دولة في أفريقيا .

وهذا العدو الذي استغل كل الإمكانيات المتاحة لم يكن دعاة التشيع الذين مرحوا في السودان بطولها وعرضها ونشروا فيها مذهبهم الخبيث بطرق ووسائل لا تختلف سمتا عن جوهر مذهبهم وحقيقته من الخبث والخسة والدناءة .

وأتعجب أن لكل ديانة أو مذهب في العالم دولة ترعاه وتدافع عنه وتبذل الأموال من اجل نشره والدفاع عن أهله إلا المسلمين عامة وأهل السنة بصفة خاصة، فالنصرانية لها أكثر من دولة ترعاها وتنشرها وتنفق عليها من أموالها بالبعثات التبشيرية المنتشرة في كل أنحاء العالم بميزانياتها الضخمة، والدول مثل الولايات المتحدة وغالب دول أوروبا ، فما من مشكلة يتعرض لها نصارى إلا وتجدهم يتحركون في أقصى سرعة ممكنة لحل المشكلة واحتوائها وتقديم المساعدات.

ولعل العالم يتذكر حرب الثلاثة أيام التي جريت بين روسيا وجورجيا في عام ٢٠٠٨ وكيف نصرت الدول النصرانية دولة منهم في مواجهة الدب الروسي فلم تستمر الحرب سوى أيام ثلاثة بالرغم من امتداد حروب مع مسلمين لعشرات الأعوام دون ان يحرك مجلس الأمن ساكنا .

فجورجيا دولة ديانتها الرئيسية النصرانية ، والكنيسة الجورجية الرسولية الأرثوذكسية هي إحدى أقدم الكنائس المسيحية في العالم، فلهذا وبعد بدء الحرب بمجرد دقائق اجتمع مجلس الأمن، ووصل وزير الخارجية الفرنسي لوقف إطلاق النار فورا، وقدم خطة يدعمها الاتحاد الأوروبي تقضي باحترام وحدة وسيادة أراضي جورجيا ووقف فوري للعمليات العدائية من روسيا ، هذا لكونها دولة مسيحية فنصرها حماة الديانة النصرانية .

وأيضا لليهود دولة تدافع عن كل يهودي في مشارق الأرض ومغاربها ومستعدة لتقيم الحروب وتحرك الأساطيل والطائرات من أجل يهودي واحد حيا كان أو ميتا ، ولعُباد بوذا دولة ولعُباد البقر دولة .

وبالنسبة للمذهب الشيعي فله أيضا دولة تدافع عنه وتخرج من أموالها ومن المبالغ التي تحصل عليها من النفط وتأخذ من حق الإيرانيين لتنفق على نشر المذهب الشيعي ولا تدخر في ذلك جهدا ولا مالا، أما المسلمون السنة فلا بواكي لهم .

فأي دولة إسلامية تحرك نفوذها السياسي لصالح مسلمين مضطهدين في أي مكان ؟ وأي دولة إسلامية سنية تنفق مواردها - ولو حتى جزء يسيرا - النفطية وغيرها لنشر المذهب السني في مواجه المذهب الشيعي ؟ وهل نفعل نحن سوى الكلام والتأسف والترحم فقط بعد فقدنا لدول تتجه للتشيع ؟ وهل يمكن أن تستطيع الجهود السنية الفردية العشوائية الضئيلة أن تواجه ما ينفق من اقتصاديات دولة نفطية مثل إيران بإنفاقها على التشيع ؟ .

وتحركت الأفعى الشيعية باتجاه السودان منذ اللحظة التي بدأت فيها وصول طائرة الخميني لطهران ، فتسللت للسودان على غفلة – لا من الحكومة السودانية - ولكن من العالم الإسلامي ، فالحكومة السودانية بفقرها وضعفها وتقصيرها وتقاعسها فتحت الأبواب للشيعة للعبث بعقيدة أهلها وكانت تعلم بكل تحركاتهم ولم تستشعر للان خطورتهم إلا على استحياء ، ولا أظنها ستفيق إلا بعد أن يكون الشيعة جيشا مثل حزب الله في لبنان والحوثيين في اليمن ويهاجموا القرى السنة كما يفعلون في كل مكان حلوا فيه وفرقوا بين أهله .

فالآن وبعد تأخر طويل عقد مؤتمر نظمته جماعة أنصار السنة السلفية لمناقشة كيفية محاربة المد الشيعي في السودان وحضر فيه - بالإضافة لرئيس جماعة أنصار السنة الداعية

للمؤتمر - الدكتور عصام البشير رئيس مجمع الفقه الإسلامي في السودان وحضر أيضا قيادات سلفية من خارج السودان منهم نائب رئيس الدعوة السلفية في مصر الدكتور ياسر برهامي .

وفيه طالب البشير السلطات السودانية بإغلاق الحسينيات الشيعية في السودان وتصفية المراكز الثقافية التابعة للسفارة الإيرانية وتجفيف معهد الإمام جعفر الصادق في الخرطوم وكذلك بمراجعة مناهج بعض المدارس والمراكز التي يعتقد صلتها بالشيعة ، متسائلا عن دور الدولة في تدفق ٨ ملايين كتاب يروج للفكر الشيعي في السودان ، وأعرب عن أسفه لغياب مجلس المصنّفات في حظر الكتب الشيعية .

وعلى نفس الاتجاهات سارت الكلمات التي قيلت في المؤتمر والتي لم تخرج عن كونها مناشدات ومطالبات ، وهذا أقصى ما يمكن فعله في مثل هذه المؤتمرات التي لا ينتج عنها غالبا إلا البيانات الختامية التي لا تسمن ولا تغني من جوع.

وهنا عدة ملاحظات على عقد مثل هذه المؤتمرات وعلى نتائجها وثمراتها :

- التحول السني داخل البلاد السنية من الفعل إلى رد الفعل، إن أسوأ ما في المؤتمر من فكرة هو أقامته تحت اسم وهدف «محاربة المد الشيعي في السودان»، فغالبا صاحب رد الفعل مهزوم، والأصل أن ندعو الناس للتوحيد الخالص والعقيدة السليمة ولا يكون عقد المؤتمر أو غيره لمحاربة الشيعة، فهذا إضعاف للمؤتمر وإضعاف للموقف السني برمته، وهذا مما يسعد به الشيعة أنفسهم أن يتحول المسلمون السنة في السودان من موقف الهجوم إلى موقف الدفاع وهو في ذاته إقرار بأنهم في موقف ضعف أمام خصمهم.

- المؤتمر جاء متأخرا جدا عن الموعد الواجب عقده فيه، فما كان بالأمس نبتا ضعيفا صار له اتباع يتكاثرون بمضي الوقت، وما كان غريبا مستهجنا بالأمس ووافدا صار له اتباع من أبناء البلاد الأصليين، وخرج من خرج للدراسة في قم وطهران وتبريز وغيرها وعادوا يحملون الشهادات العليا فالأمر صار غير الأمر وتأخرت المواجهة كثيرا، ولكن الوقت لم يفت بالكلية حتى الآن ولكنه صار أصعب بكثير عن ذي قبل.

- الحضور غير رسمي على الرغم من عظم المشكلة التي تتعرض لها السودان من هذا الغزو الشيعي وللمساحة الكبيرة التي يخترقها إلا انه لم يكن هناك تمثيل رسمي سوداني أو عربي وإسلامي، فكل من حضر للمؤتمر كجماعة أو أفراد لا ترقى جهودهم أبدا للمقاومة المطلوبة لهذا المد الشيعي، وهذا يجب أن يعقد له مؤتمر ترعاه الدولة ومعها عدة دول إسلامية أخرى ليكون الحضور والقرارات على نفس مستوى انعقاده.

- والمؤتمر لن يسفر عن نتائج يخرج سوى بتوصيات لن تجد طريقا للتنفيذ إلا على مستوى الجهود الفردية، والجهود الفردية دائما ضعيفة جدا وتتعرض لعقبات شديدة تعرقلها وتحتاج لقوانين وتشريعات حكومية تغلق الأبواب المفتوحة لتسلل الشيعة.

- تحدث في المؤتمر الدكتور عصام البشير الذي كان يشغل منصب وزير الإرشاد والأوقاف السوداني السابق وهو أيضا عضو البرلمان السوداني من عام ١٩٩٢ إلى عام ٢٠٠٦، وهو الآن على رتبة مستشار رئيس الجمهورية، ومع تقديرنا لمكانته العلمية والأدبية إلا انه تحدث عن الخطر الشيعي الحالي وقد كان في موقع المسئولية الحكومية في الدعوة والإرشاد في بلاده، فما كان يستطيع فعله بسياسات الحكومة وإمكانياتها اكبر بكثير مما عليه الآن حيث سينتهي المؤتمر فقط إلى عدة مطالبات ومناشدات .

- اهتم المؤتمر بمعالجة أمر الشيعة واعتبرهم المشكلة الأكبر والحق ان المشكلة التي لم ينظر إليها هي مشكلة الصوفية المتعمقة في الداخل السوداني، فهي المعين الرافد الذي يحرث الأرض ويبذر بذور المفاهيم الشركية ثم يرويها ويمهدها ليقدم أبناء السودان لقمة سائغة يسيرة للتشيع، فالاهتمام بالطرق الصوفية هو الأساس الذي يجب

البدء به والاهتمام به من قبل ظهور الشيعة واستفحال شرهم .

- وأخيرا ، من أراد أن يشاهد مصر بعد عشرين عاما من الآن، ومن أراد أن يعرف الثمرة المستقبلية لتقصير العرب اقتصاديا مع مصر والخطأ الجسيم الذي ارتكبته الرئاسة المصرية في التقارب مع إيران فلينظر إلى ما يفعله الشيعة في السودان، فما هي إلا نفس الظروف الاقتصادية بنفس المنهج الشيعي في اللعب على وتر الشهوات وفتح الأبواب للدراسات العليا في جامعات طهران ، فبنفس المقدمات ستحدث دوما نفس النتائج .

إلى الحبيب الجفري:
رسالة مُحِب أم مُغرِض؟!!

عصام تليمة – المصريون ٢٠١٣/٥/٦

لم أفاجأ بمقالك الداعية المنشور على جريدة (الوطن) المصرية يوم الأحد: ٢١ إبريل ٢٠١٣م، والتي عنونت لها: برسالة محب، رحت تسوق نصوصا فيها ثم تحتكم في تأويلها لهواك العلمي، مما جعل الرسالة تخرج عن إطار الحب كم زعمت، إلى إطار الغرض، فرحت تسوق نصوصا توحي بأن طلب الإسلاميين للترشح لنيل الحكم جريمة دينية، عاقبته الخسران في الدنيا، والهلاك والعذاب في الآخرة، وهي:

١ــ عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: دخلت على النبي ﷺ أنا ورجلان من بني عمي، فقال أحدهما: يا رسول الله أمِّرنا على بعض ما ولاك الله، وقال الآخر مثل ذلك، فقال: إنا لا نولي على هذا العمل أحدا سأله، ولا أحدا حرص عليه». وفي رواية: «لا نستعمل على عملنا من أراده».

٢ــ وعن أبي ذر قال: قلت يا رسول الله: ألا تستعملني؟ قال: فضرب بيده على منكبي ثم قال: «يا أبا ذر إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها، وأدى الذي عليه فيها».

٣ــ وعن عبد الرحمن بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يا عبد الرحمن بن سمرة: لا تسأل الإمارة، فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها، وإن أعطيتها من غير مسألة أُعنت عليها».

٤ــ وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إنكم ستحرصون على الإمارة، وستكون ندامة يوم القيامة، فنعم المرضعة، وبئست الفاطمة».

٥ــ وعن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: «أولها ملامة، وأوسطها ندامة، وآخرها خزي يوم القيامة».

وهذه الأحاديث التي وردت في ذم طلب الإمارة والحرص عليها، لها توجيه، وليست موضع إجماع في الأخذ بظاهر عباراتها، والتي تفيد منع الترشح، أو طلب السلطة، وحتى إن أخذت مجردة لا يوجد فيها ما يفيد التحريم، وإنما تحمل على الكراهة كما ذهب البخاري ومسلم رواة هذه الأحاديث، حيث وضعوا مثل هذه الأحاديث تحت عنوان: (كراهة الإمارة بغير ضرورة) و(ما يكره من الحرص على الإمارة). ومن وجه آخر: فربما كان ذلك تشريعا خاصا بمجتمع المدينة ودولتها، فرعيَّتُها معروفة للرسول ﷺ ، وباستطاعته وكبار الصحابة أن يختاروا أكفأ العناصر للمناصب العامة، دون ترشيح.

كما وجد في القرآن الكريم نصوص دلت على جواز ترشيح النفس في أي عمل يبتغي به الإنسان صالح المجتمع، وخدمة دينه، فمن ذلك:

١. قوله تعالى بعد أن فسر نبي الله يوسف الرؤيا لملك مصر، ووضع لهم خطة اقتصادية تحميهم من مخاطر المجاعة المتوقعة: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ﴿٥٥﴾﴾]يوسف: ٥٤، ٥٥[. والتي رحت تأولها حسب هواك، ناسيا ما ذكره العلماء في طلب نبي الله يوسف عليه السلام ومنها قول العلامة ابن عاشور في التحرير والتنوير: (وَهَذِهِ الْآيَةُ أَصْلٌ لِوُجُوبِ عَرْضِ الْمَرْءِ نَفْسَهُ لِوِلَايَةِ عَمَلٍ مِنْ أُمُورِ الْأُمَّةِ، إِذَا عَلِمَ أَنَّهُ لَا يَصْلُحُ لَهُ غَيْرُهُ، لِأَنَّ ذَلِكَ مِنَ النُّصْحِ لِلْأُمَّةِ، وَخَاصَّةً إِذَا لَمْ يَكُنْ مِمَّنْ يُتَّهَمُ عَلَى إِيثَارِ مَنْفَعَةِ نفسه عَلَى مَصْلَحَةِ الْأُمَّةِ. وَمِنْ هَذِهِ الْآيَةِ أَخَذَ فُقَهَاءُ الْمَذْهَبِ جَوَازَ طَلَبِ الْقَضَاءِ لِمَنْ يَعْلَمُ

أنّه أهلٌ وأنّه إنْ لَمْ يُوَلّ ضاعتِ الحُقُوق).

٢ـ وقول سليمان عليه السلام: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ ﴿٣٥﴾ ﴾ [ص: ٣٥]، فنبي الله سليمان هنا: طلب الملك، وتشوف إليه، ودعا الله أن يهبه الملك، وليس أي ملك طلب، بل طلب ملكا لا ينبغي لأحد من بعده، وهذا دليل قوي من القرآن الكريم، في سيرة نبي من أنبياء الله، جمع بين النبوة والملك، في الدلالة على جواز الترشح، وطلب المنصب؛ شريطة: أن يهدف من وراء ذلك طاعة الله، والعدل، وليس مصلحة شخصية.

٣ـ وعندما أراد نبي الله سليمان أن يري ملكة سبأ ما آتاه الله من قوة، وما توافر لديه في دولته وأفرادها من علم ومُكنة، أراد أن يأتي له من بلاطه وجنوده من يأتيه بعرشها قبل أن تأتيه مسلمة، فقال: ﴿ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [النمل: ٣٨ـ٤٠].

فهنا أعلن نبي الله سليمان عن مهمة، يحتاج إلى من يرشح نفسه لها، أو يرشح غيره، فتبارى عفريت من الجن ذاكرا مؤهلاته، وقام له الذي عنده علم من الكتاب فاستحق الترشح للمهمة.

بل هناك نصوص صريحة في طلب الترشح والتوجه إليه في مواقف لكبار الصحابة رضوان الله عليهم، أمثال أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ففي يوم خيبر قال ﷺ:

«لأدفعن الراية غدا إلى رجل يحبه الله ورسوله، ويحب الله ورسوله، ثم يفتح الله على يديه، قال عمر: فما أحببت الإمارة قط إلا يومئذ، وتطاولت إليها، فقال رسول الله ﷺ: «يا علي فدفع إليه اللواء».

وفي رواية أخرى: « فلما كان الغد: تبادر لها أبو بكر، وعمر، فدعا عليا وهو أرمد، فتفل في عينيه، وأعطاه اللواء».

وفي رواية ثالثة: فغدا الناس على رسول الله ﷺ كلهم يرجون أن يعطيه الراية فقال: «أين علي؟».

وفي رواية رابعة: «فتطاول لها ناس».

بل وردت رواية فيها تمني عمر بن الخطاب رضي الله عنه الإمارة يومها صراحة، فعندما قال ﷺ: «لأعطين الراية غدًا رجلاً يحبه الله ورسوله، ويحب الله ورسوله» قال عمر رضي الله عنه: فتساورت لها رجاء أن أدعى لها، بمعنى: تطاولت، وفي الرواية الأخرى: أي حرصت على ذلك حتى أظهرت وجهي، وتصديت لذلك؛ ليتذكر مكاني فأعطاها، كما قال: (رجاء أن أدعى لها).

كما أن هناك سابقة تاريخية تدل على جواز الترشح، والتمسك بترشيح النفس، وعدم التنازل عن الترشح لصالح مرشح آخر، فقد ذكر ابن كثير في قصة انتخاب عثمان بن عفان رضي الله عنه: «أن القوم خلصوا من الناس في بيت يتشاورون في أمرهم، فكثر القول وعلت الأصوات، وقال أبو طلحة: إني كنت أظن أن تدافعوها، ولم أكن أظن أن تنافسوها، ثم صار الأمر بعد حضور طلحة إلى أن فوض ثلاثة منهم ما لهم في ذلك، إلى ثلاثة، ففوض الزبير ما يستحقه من الإمارة إلى علي، وفوض سعد ما له في ذلك إلى عبد الرحمن بن عوف، وترك طلحة حقه إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه، فقال عبد الرحمن لعلي وعثمان: أيكما يبرأ من هذا الأمر فنفوض الأمر إليه، والله عليه والإسلام ليولين أفضل الرجلين الباقيين، فسكت الشيخان علي وعثمان، فقال عبد الرحمن: إني أترك حقي من ذلك، والله علي والإسلام أن أجتهد فأولي أولاكما بالحق، فقالا: نعم.

فسكوت علي وعثمان رضي الله عنهما دلالة ضمنية، ولكنها صريحة وواضحة على ترشيح نفسيهما لمنصب الخلافة. وهذا الترشيح منهما في الحقيقة هو من قبيل الدلالة على ما ينفع المسلمين؛ لما يحسّه كل منهما من نفسه من كفاءة

وقدرة على خدمة المسلمين، عن طريق تولي منصب الخلافة، بانتخاب المسلمين له.

فمن يجد في نفسه كفاءة وكان قد استوفى الشروط المتطلبة في المنصب، أو في عضوية مجلس الشورى أو غيره، فله أن يرشح نفسه ما دام يبغي المصلحة العامة، ويبتعد عن التكالب، ويجتنب الافتئات على من هو أولى منه، ويؤيد هذا الاتجاه الإمام الماوردي في الترشح للإمامة فيقول: (وليس طلب الإمامة مكروها، فقد تنازع فيها أهل الشورى، فما رد عنها طالب، ولا منع منها راغب، واختلف الفقهاء فيما يقطع به تنازعهما مع تكافؤ أحوالهما، فقالت طائفة: يقرع بينهما، ويقدم من قرع بينهما).

ثم كانت الطامة في رسالتك التي تزعم فيها الحب، أنك تشق عن قلوب الإسلاميين، فحكمت بأن وصولهم للسلطة بصناديق اقتراع، وشورى صحيحة، هي رغبات وشهوات نفس، ليس لها نصيب من التقرب إلى الله بذلك.

وكانت الطامة الأكبر في جزمك بأنهم كم مرة كذبوا، وكم مرة وعدوا فأخلفوا، وكم مرة عاهدوا فنكثوا، وكم من بريء اتهموه؟ وكم من كفء تم إقصاؤه، وكم من دم بريء من شباب الإسلاميين وخصومهم سفكه الإسلاميون؟ ما هذا يا رجل، وكأنك وصلت إلى ما لم يصل له القضاء المصري، دون تحقيق أو تثبت؟ وكأن الله كشف لك الحجب ـ بحكم صوفيتك ـ فرأيت ما لم يره أحد، تحتكم إلى نصوص تؤولها بهواك، ثم تهمل نصوصا تدمغك بالهوى وكيل الاتهامات بالباطل للبرآء، أو على الأقل ما لم تثبت إدانتهم بعد، والقرآن الكريم يقول: (قل هاتوا برهانكم) والنبي ﷺ يقول: «على مثل الشمس فاشهد» فماذا رأيت بأم عينك مما افتريت واتهمت به من خاطبتهم برسالتك، حتى تسلم بأن ما افتريته حقائق لا افتراءات أملاها عليك من أملاها.

ثم إنك بناء على منهجك الذي اتخذته في مقالك وفي مسلكك الدعوي، كان عليك أن تكون رسالتك لمعارضي الإسلاميين، فمنهجك يقضي بأن الإسلاميين أولي أمر في بلادهم الآن، وواجب على المعارضة ــ بحكم منهجك الذي لا أؤيده ـ أن يسمعوا ويطيعوا، ولا يشقوا عصا الطاعة للحاكم، وأن معارضتهم خروج على الحاكم الشرعي، ويحرم الخروج على الحاكم، بنصوص كنت أتمنى أن تسردها جنبا إلى جنب مع النصوص التي سردتها مع لي أعناقها. ومع ذلك فأنا أؤيد المعارضة ضد الإسلاميين، حتى لو أدت إلى إسقاطهم سلميا باحتجاجات سلمية، أو بصناديق الاقتراع.

لو كنت صادق النصح، فكان أولى من تنصح حكام الدولة التي تقيم فيها، وقد اقتادوا نساء ظلما، ورجالا لفقت لهم التهم، وسحبت منهم الجنسية، وهو أمر مخالف للشرع، ومخالف للقانون الدولي. ولكن نصحك يشتم فيه رائحة الغرض، فلذا وجهته حيث تهوى، لو كانت بوصلتك يا مولانا هي الحب والنصح لله، فابدأ بأقرب محيط لك تعيش فيه. ولو كانت صادق النصح، لنصحت من تقيم بين ظهرانيهم بتسليم لصوص سرقوا مال الشعب المصري، وآووا من أذوهم في مالهم وأنفسهم.

فكما أنك تخشى أن يقف الإسلاميون بين يدي الله، فخشيتنا عليك أن تقف أنت أيضا بين يدي الله أكثر يا شيخ حبيب، والرسول ﷺ يقول: «المسلم أخو المسلم لا يسلمه ولا يخذله»، أليس من نصرة المسلم، ألا تخذل مسلمين مظلومين في بلد تحيا فيه، هانئا وادعا، أدام الله عليك الهناء والوداعة، والأمن والأمان، أليس من الإنصاف أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك، وينعم إخوانك مثلك بحقهم أن يكونوا بشرا، لهم ما لغيرهم من البشر، بل لهم ما لغيرهم من غير أهل البلد من غير المسلمين، وغير العرب، من حرية الاعتقاد، وحرية الفكر، وحرية الحركة والتنقل؟ أم أن هذه نقرة وهذه نقرة يا مولانا؟!!

مغربي «يفضح» أسرار وهويات وعلاقات «قاديانيين» مع الخارج

حسن الأشرف – هسبريس ٢٠١٣/٣/١

هل يوجد قاديانيون مغاربة ينشرون «دين» القاديانية أو الأحمدية في البلاد؟..هل يمكن اعتبارهم أقلية دينية في المغرب؟..كم هو عددهم؟ وما المناطق التي يكثرون فيها، وكيف يتواصلون فيما بينهم؟..ولماذا غيروا دينهم الإسلامي إلى اعتناق القاديانية؟..وهل لديهم علاقات مع أطراف خارجية تدعمهم؟..

كانت هذه بضعة أسئلة حملتها جريدة هسبريس الإلكترونية إلى شاب مغربي، أصر على عدم الإفصاح عن اسمه، وفضل أن يُلقَّب بـ«مُحِب الرسول»، حيث إنه له تجربة في دحض شبهات القاديانيين المغاربة، كاشفا عن هوياتهم وصورهم وأسمائهم وهواتفهم أيضا، فقد تملَّكته ـ بعد أن عرف العديد من الحقائق عن القاديانيين المغاربة ـ الرغبةُ في فضحهم، وإبراز حقيقتهم عارية أمام الرأي العام الوطني والمسؤولين في الحكومة.

أنشطة القاديانيين المغاربة

القاديانية فرقة ظهرت بإيعاز من الاستعمار البريطاني في الهند، أسسها الميرزا غلام أحمد القادياني (١٨٣٩ـ ١٩٠٨)، ونمت الحركة واتسعت بسبب تسهيلات بريطانيا واليهود لهم، والقاديانيون لم يظهروا في المغرب إلا في السنوات القليلة الأخيرة. ويُعزى انتشار القاديانية في بلدان العالم خاصة في صفوف الشباب إلى عاملين رئيسيين: التواصل اليسير عبر الشبكة العنكبوتية، وأيضا قناتهم الفضائية المعروفة «MTA».

وقال كاشف حقيقة القاديانيين «الأحمديين» المغاربة، عبر سجالاته مع العديد منهم في المنتديات والغرف الصوتية في الانترنت، إن عدد القاديانيين حسبما هو ظاهر يفوق المائتين شخصا ينشطون في غرفتهم الصوتية على الانترنت.

واسترسل المصدر بأن «هناك تزايد في عدد القاديانيين بالمغرب، لكن ذلك لا يشكل حاليا تهديدا، رغم أن ارتداد شخص واحد عن دينه هو خسارة للشعب المغربي كله»، مضيفا بأن «الدولة لا تقوم بواجبها فلو شجعت العلماء والدعاة على مناقشة هؤلاء، لما تجرأ أحدهم على الظهور خوفا من العار».

وأردف المتحدث بأن للقاديانيين المغاربة رغم كل ما سبق دور كبير يقومون به، والدليل على ذلك نشاطهم في غرفتهم الصوتية إذ أن الذي سُجلت باسمه مغربي، واسمه الحقيقي جمال أغزول: Albayyina، كما أن بعض المشرفين في تلك الغرفة مغاربة، ولديهم «أميرهم» في بالمغرب يدعى «عصام الخامسي مراكشي»، وهو مُكلف بأن يسجل أسماء الذين اعتنقوا القاديانية، ويبعث اللائحة إليهم في لندن مقر هذه الجماعة.

الانتشار والاستقطاب

وبخصوص المناطق أو المدن التي يتواجد فيها القاديانيون المغاربة بكثرة، أجاب «مُحب الرسول» بأنه وفق معلوماته وحواراته معهم، فإن بعضهم يتواجدون في مدينة الدار البيضاء، وبعضهم الآخر في المحمدية وأكادير وتارودانت وشمال البلاد أيضا، وتأثيرهم يظل محدودا من حيث الاتساع والانتشار.

وتابع المتحدث قائلا: «حسب تجربتي المتواضعة فإن القاديانيين المغاربة لا يناقشون الناس علنيا، ولكن تأثيرهم خفي مثل نفث بعض الأساتذة أفكار هذه الجماعة في أذهان التلاميذ، أو في مقرات العمل، من قبيل قصة شاب في مدينة تارودانت كان أحد القاديانيين «يستعرض» عليه أفكاره، ولكن بعد مناظرة لي مع القاديانيين في شخص مشرف لهم في غرفتهم اسمه «أبو عمر»، abo_3omar، استطاع هذا الشاب الذي اطلع على المناظرة أن يدحض شبهات القادياني الذي أراد استقطابه».

«القاديانيون لا يحبون أن يطلق عليهم اسم القاديانيين، وإن كانوا هم أنفسهم يسمون

المنشقين عنهم بـ«اللاهوريين»، فينسبونهم إلى مدينة لاهور، وأسماء أخرى من قبيل أهل بيغام، ويطلقون عليهم أيضا «غير المبايعين» لأنهم لم يبايعوا الخليفة الثاني ومن جاء بعده، واللاهوريون يسمون طائفة قاديان بالقاديانيين، وإذن فلا مسوغ لغضبهم وامتعاضهم من هذا الاسم» يورد كاشف أسرار القاديانيين بالمغرب.

أسباب اعتناق القاديانية

وحول رأيه في العوامل التي تدفع بعض الشباب المغربي إلى تغيير عقيدته نحو القاديانية، قال المصدر ذاته «إن الإنسان لا يغير معتقده هكذا جزافا، فالأمر يرتبط بأمور منها: ضعف الجانب العقدي، فلا يمكن لمسلم رسخ الإيمان في قلبه أن يدع دين العزة ليدين بدين الذل وإطراء الحكومة البريطانية».

واستدل المتحدث بمقولة للميرزا غلام أحمد: «إن مذهبي وعقيدتي التي أكررها أن الإسلام جزءان؛ الجزء الأول: إطاعة الله، والجزء الثاني: إطاعة الحكومة التي بسطت الأمن وآوتنا في ظلها من الظالمين، وهي الحكومة البريطانية؛ [روحاني خزائن المجلد ٦ شهادة القرآن الصفحة: ٣٨٠].

والعامل الرئيس الثاني، وفق «محب الرسول»، يتمثل في الجهل أو المستوى التعليمي المتدني حيث إن أكثر من حاورهم لا يتجاوز مستواهم التعليمي الباكلوريا، أما السبب الثالث فيكمن في «انضمام السببين السابقين إلى الخواء الروحي وفساد السيرة والطوية إلى الجوع المادي والطمع في مكاسب دنيوية».

ويشرح المتحدث قائلا: «يبقى الجشِع من الناس مستعدا ليتنصل من دينه، وينسلخ منه انسلاخ الحية من جلدها، والغريب في الأمر أن بعضا منهم لم يتأثروا بالقاديانية، ولم يتغير منه شيء، وحتى معارفهم ضحلة، ولا يناقشون إلا من محفوظ نقلوه من موقع جماعتهم على الويب».

العلاقات مع الخارج

وكشف «فاضح القاديانيين المغاربة» بأن هؤلاء لهم علاقات وروابط مع جهات خارجية، حيث إنهم يرتبطون بإمامهم وخليفتهم الموجود في لندن، ومن هناك تصدر لهم الأوامر بما يجب أن يقوموا به، كما أن الشبكة العنكبوتية تضمن الاتصالات فيما بينهم سواء على الفايسبوك أو على البالتوك أو على المواقع والمنتديات.

وزاد المتحدث بأنه بدون شك لليهود علاقة جلية بهؤلاء القاديانيين، بدليل أن لهم مناطق في فلسطين المحتلة، وزعيم الكبابير محمد شريف القادياني سبق له أن أفطر مع رئيس الكيان الصهيوني شمعون بيريز»، وفق تعبير «الملقب بـ «مُحب الرسول».

لكن كيف يمكن تفسير عدم تعرضهم لمضايقات أو لمتابعات أمنية مثلا على غرار المنصرين بالمغرب؟..تسأل هسبريس ليجيب المتحدث بأن «القاديانيين لا يرتبط نشاطهم بالكنائس على غرار المرتدين المتنصرين، ولا يرتبط تحركهم باتصال أطراف خارجية لأن رؤساءهم الكبار لا يجدون أعذارا للتحرك في المغرب لتعارض المبادئ».

وزاد شارحا بالقول: «القاديانيون في البلدان الأخرى يحظون بملاقاة خليفتهم الميرزا مسرور، حفيد المتنبئ الدجال «ميرزا»، الذي زار بلدانا من إفريقيا، ولهم فيها مشاريع. أما في المغرب فهم يتحركون فيما بينهم، ولا دليل على قاديانيتهم حتى لو أوقفوا، ولم نسمع لهم بأنشطة كعقد ندوات أو محاضرات أو مهرجانات، وهم كالشيعة ينشطون في المنازل، فالشيعة يؤسسون حسينيات، والقاديانيون يؤسسون «مرزائيات»، بحسب تعبير المتحدث.

وأعلن «محب الرسول» من خلال جريدة هسبريس الإلكترونية تحديه لهؤلاء «الأحمديين» بأن يجري معهم مناظرة فكرية، موضوعها «صفات الميرزا الخُلقية و الخِلقية»، مردفا بأنه «يرجو أن يتشجعوا ويقبلوا المناظرة إن كانوا على حق.

«مقاومة» و«ممانعة».. في خدمة «مشروع الشرق الأوسط الجديد»

إياد أبو شقرا – الشرق الأوسط ٢٠٤٣/٤/٢٤

الشيخ نبيل قاووق، نائب رئيس المجلس التنفيذي لحزب الله وأحد أبرز قادته في جنوب لبنان، اعتاد اللبنانيون على خطبه الصريحة في المناسبات الاحتفالية، بمختلف أحجامها وأنواعها، غير أن اللازمة الدائمة التي لا تحول ولا تزول في خطب الشيخ قاووق هي الإصرار على ثابتة «المقاومة».

في قاموس الشيخ «المقاومة» كلمة تختصر كل شيء. إنها ثابتة في الزمان والمكان. فوق مستوى التعريف والشرح والتحليل. «المقاومة» هنا فلسفة وجود وعصب حياة... التشكيك فيها جريمة والتساؤل حولها خطيئة.

بالأمس، كان جمهور جنوب لبنان على موعد مع خطاب آخر للشيخ قاووق، تطرق فيه – طبعا – إلى «المقاومة». والجديد المثير في الخطاب أنه جاء على خلفية التقارير الميدانية من الريف المحيط بمدينة القصير الحدودية السورية. في ريف القصير يمارس شباب «الحزب» نوعا مختلفا من «المقاومة»... هي مقاومة قيام سوريا حرة يحكمها شعبها، بدلا من طغمة أمنية – طائفية «احتلت» منذ أكثر من أربعة عقود من الزمن.

وما يضع الأمور في إطارها الصحيح كلام الرئيس السوري بشار الأسد لدى استقباله وفدا عرمرميا من جماعات «٨ آذار» المؤمنة بطروحاته «القومية» و«إصراره» على تحرير فلسطين، إذ قال ما معناه إنه لا يجوز للبنان أن ينأى بنفسه عن الوضع في سوريا، بل يجب عليه المشاركة في مقاتلة «الجماعات المسلحة». وأضاف أن «تحرير» القصير خطوة على الطريق لـ«تحرير» حمص.

كلام الأسد واضح إذن. وموقفه قاطع من أي مبادرة سلمية دولية، فهو منشغل بواجب «تحرير» مدن سوريا – من سكانها على الأرجح – بعدما تعذر عليه تحرير فلسطين.

عودة إلى الشيخ قاووق...

الشيخ قال بالأمس: «المقاومة تمثل اليوم ضرورة وطنية استراتيجية لمواجهة أي محاولة إسرائيلية لاستثمار الأزمة في سوريا (كذا)، كما أن الواجب الوطني يفرض علينا أن نحصن الوطن وإنجازات المقاومة من أي محاولة إسرائيلية... الواجب الوطني يفرض علينا أيضا أن لا نسمح لأميركا وإسرائيل بتحقيق أي مكاسب على حساب قوة لبنان. قوة لبنان هي في معادلة الجيش والشعب والمقاومة». ثم استطرد: «كما انتصرنا على إسرائيل عسكريا نحن ننتصر على أميركا سياسيا، إن بتشكيل الحكومة وإن بالانتخابات النيابية، ولن تحصد أميركا غير الخيبة على الرغم من كل السموم الأميركية التي تبثها في الواقع اللبناني».

ما أتذكره، كمراقب، ويتذكره جيدا اللبنانيون أن حزب الله وافق على قرار مجلس الأمن الدولي ١٧٠١ الذي يمنع وجوده العسكري – أو «المقاوم» – جنوب نهر الليطاني. وهذه الموافقة ساعدت «الحزب» على توجيه سلاحه.. أولا إلى الداخل اللبناني اعتبارا من ٢٠٠٨، ثم خلال العامين الماضيين إلى الداخل السوري. وهذا يعني أن الجبهة الوحيدة الهادئة حاليا بالنسبة لـ«المقاومة» هي الجبهة الجنوبية التي قامت «المقاومة» أصلا من أجلها، أي تحرير جنوب لبنان.. ومن ثم فلسطين.

كيف تحولت «المقاومة» من الجنوب إلى

الشمال؟ وكيف تنظر إسرائيل وينظر داعموها في الولايات المتحدة إلى هذا التحول؟ ما سر الارتياح الإسرائيلي لما يجري في سوريا منذ أكثر من سنتين؟... ثم ما سر الإصرار الأميركي على ترك سوريا تتمزق من الداخل؟.. مع أنه ثبت بالأرقام والأحداث أن الانهيار البطيء حوّل أراضيها إلى وجهة مثالية للأصوليين الجهاديين يأتونها من مختلف أنحاء العالم.. وإذا كان لنا تصديق السيد الأخضر الإبراهيمي، الموفد الدولي – العربي، يقاتل في سوريا اليوم نحو ٤٠ ألف مقاتل أجنبي.

باعتقادي الإجابة على السؤال الأول بسيطة، وهي أنه ما عادت هناك «مقاومة»، بل هي التزام بمشروع إقليمي تكشف الأيام أن تفاصيله قيد المساومة دوليا. «المقاومة» اليوم هي المسمى المهذب للدور الموكل لحزب الله في تنفيذ تفاصيل مشروع «سايكس - بيكو» جديد، باسم إيران وبمباركة إسرائيل، تحت رعاية روسية – أميركية.

إسرائيل، من جانبها، مرتاحة للحقد الفئوي المضاد الذي يثيره قمع دموي يمارسه نظام فئوي، مدعوما بمقاتلي تنظيم فئوي، في ساحتين لمتاخمتين لها هما سوريا ولبنان. ومن المستبعد جدا أن يكون حزب الله، ومن خلفه الحكم الإيراني، قد فوجئ.. أولا برد الفعل المتشدد في الشارع السني في سوريا ولبنان، وثانيا بزحف الجماعات الجهادية على الداخل السوري من كل فج عميق.

قبل سنوات بدأنا نسمع عما سمي بـ«مشروع الشرق الأوسط الجديد». ويومذاك قيل لنا إن وراءه تيارات غربية – صهيونية على رأسها «المحافظون الجدد» في الولايات المتحدة. وبعد نشر خرائط تقسيمية للمنطقة مدعومة بتوصيات لبعض مراكز الأبحاث، هب كثيرون مطلقين دعوات حارة للتصدي للمشروع. لكنّ أحدا، ولا سيما أصحاب الحناجر القوية، لم يشرح للناس آلية تنفيذ مخطط من هذا النوع، بل يظهر أن هؤلاء توهموا أن معدي «مشروع الشرق الأوسط الجديد» سينجزونه بقرار سياسي معلن. لكن ما أثبته مرور الزمن أن أولئك الذي كانوا أشرس مهاجميه لفظيا... كانوا على رأس المساهمين في تنفيذ بنوده فعليا.

اليوم يقود حزب الله ونظام بشار الأسد، اللذان يجسدان – كما قيل لنا – زبدة «المقاومة» و«الممانعة»، عبر تدمير سوريا ولبنان وتمزيق نسيج مجتمعيهما، عملية التنفيذ الفعلي لـ«مشروع الشرق الأوسط الجديد».

أن يقدم مسلحون جهاديون من خارج سوريا، بالأمس، على خطف أسقفين قرب حلب – أحدهما كان مرشحا للبطريركية قبل أن ينتخب شقيقه للمنصب – وأن يتسارع إيقاع التهجير والفرز الطائفي والنهوض بـ«الواجب الاستشهادي» في أراضي المحافظات السورية، أمام تواطؤ عنيد من المجتمع الدولي، فهذا دليل قاطع على التنفيذ الدقيق لـ«مشروع الشرق الأوسط الجديد». «مقاومة» و«ممانعة» من هذا النحو مكونان ضروريان لإنجازه.